النبوة

النبوءة

الكاتب: إبراهيم حفظي

إخراج فني: الباشا عبدالباسط

رقم الإيداع: 16559 / 2019

الترقيم الدولي: 978 - 977 - 844 - 052 - 2

دار الزيات للنشر والتوزيع **:Facebook Page**

E- mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم

01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

النبوءة

الكاتب

إبراهيم حفظي

دار الإيمان للنشر والتوزيع

إهداء إلى

عمار زيدان

صديقي وأخي شكرا على كل شيء وعلى السهر، شكرا لك

رب أخ لم تلده لك أمك.

برلين 2008

– حامد.. استيقظ.. حبيبي أنا بجوارك.

– أنا.. أنا.. أنا.

– نعم، كنت تحلم بكابوسك المتكرر.

انطلق صوت أجش بعدما أفاق من كابوسه: فقت حبيبتي، أكنت أهذي كعادتي؟!

– نعم، وكان صوتك مرتفعًا.

– آسف حبيبتي..

د/ حامد.. بروفيسور في جامعة برلين في أمراض الجهاز التنفسي، جاء إلى ألمانيا وهو في العشرين من عمره، ابن محافظة أسوان، ابن النوبة، أتى محملًا بطموح والديه، الشيخ حمدان مأذون القرية وأمه المعلمة الفاضلة "عائشة".

كان حامد نابغة منذ صغره وهو ما شجع والده الشيخ حمدان على أن يكمل ولده طموحه في بلد أوروبية، وكان ذلك لحامد، فأتم دراسة الطب في ألمانيا وتفوق حتى أصبح من أشهر من يدرسون تخصصه في أعرق الجامعات الأوروبية "جامعة برلين".

أليسار.. النقطة الفارقة في حياته، هذه الفتاة التركية لولاها ما تخطى أزمات فراق الأحباب وتركه وحيدًا في هذه الدنيا، لقد مات الشيخ حمدان وماتت عائشة ولم يتبقَ له سوى الحبيبة أليسار، هذه الدنيا التي لا تترك من عليها دون كبد.

حامد: أليسار، أنا هلوست في هذه الليلة أيضًا.

أليسار: حبيبي، تزيد هذه الهلاوس وأنا قلقة عليك، لقد كانت تأتي لك مرة في الشهر، فزادت لتأتي لك أسبوعيًّا مرة، فزادت لتأتي مرتين في الأسبوع، والآن تأتي لك بشكل شبه يومي، وأنت لا تريد رؤية الدكتور، أرجوك القلق لا يسعني عنك بعد اليوم، لأجل يامور أن تأتي إلى الدكتور ليراك ونطمئن.

حامد: حبيبتي، لننتهي من هذا الفصل الدراسي المزدحم وليشاء الله، أعلم أنني أرهقتك بعنايتي.

أليسار: حبيبي، أنا موجودة في هذه الدنيا لكي أخفف عنك وتخفف عني، فلا تقول هذا مرة أخرى ولكن طمئنِّي، ألا زالت هذه الصور القديمة تراودك وتزعجك؟

حامد: دعيكِ من هذا حبيبتي، واذهبي لتحضري لي لنا طعام الإفطار فقد تأخرت على طلابي.

قامت أليسار من جوار حامد وبدأت جولة عقله في السفر إلى قريته والصور التي يراها في المنام والرجل المسِن الذي يوقظه بعصاه وتزيد حدَّته إلى أنه أصبح الآن يضربه، نعم يستقيظ كل يوم وهو بالكاد يحرك جسده بالقوة من وخذ عصا العجوز وضربه أحيانًا في منامه على ظهره.

تفقد/ حامد جسده الذي بدت عليه علامات الشيخوخة، وتألم من الضرب المبرح الذي عاهده هذه الفترة منذ رؤية حدة هذا الرجل العجوز، الذي لا يفارقه في المنام.

وتذكر هذا العجوز، تذكر أنه حينما كان يبلغ الثامنة من عمره كانت أول رؤية له، نعم رآه، ولكن رؤية مشاهدة، ليست رؤية في منام

وتذكر أنه كان يلعب في منزل جده الذي ورثه أبوه وكانت أمه تخزن الغلال في غرفة آخر المنزل في جزيرة ألفنتين "مسقط رأسه" بمدينة أسوان.

وكانت أمه تحذره ألا يدخل هذه الغرفة، وكان ككل الصبية؛ الممنوع مرغوب، وذات يوم ومع انشغال أمه مع الفرن القديم، دخلت كرة كان يلعب بها في هذه الغرفة، فنظر إلى أمه فوجدها منشغلة فقال لمَ لا أدخل؟ ليأتي بالكرة من داخل الغرفة.

وكعادة أي تحذير من مكان، لقد شعر بانقباض في قلبه الصغير حينما دخل الغرفة، لقد كانت مظلمة، دخل يتحسس فإذا بقدمه تلامس كرته المفقودة، ففرح وهمَّ أن يأخذها، فإذا به يراه!!.

رجل في عمره جده، قصير، صارم الملامح وبيده عصاه مخيفة وكأنها ثعبان يتلوى في يده، نظر إليه نظرة مرعبة، فصرخ الصغير من هول هذه العيون، فسقط في ظلام الغرفة، ومن يومها وهذا الرجل لا يفارق أحلام الصغير، لا يكلمه في منامه ولا حتى يهدده أو يخوفه، وإنما هو معه، كأنه جزء من يومه، بل كأنه شيء يجري في دمائه.

مضت السنوات، وقد شاب الصغير والعجوز لا يموت في أحلامه إنما باق كهيئته لا يتغير.

مشى الشاب مبتعدًا عن قريته وبلدته، بل وقارته، ليستقر في بلد آخر وقارة أخرى والعجوز ما زال معه ولا يفارقه.

يمضي لينام وهو يقول لنفسه هناك من ينتظرني ويراقب من بعيد بعيون لا تبشر بالخير، فهذه ليست هيئة من يدعو للخير.

كل هذه السنين ولم يحرك هذا العجوز عصاه ولا قدمه ناحية حامد إلا من أيام لا تتعدى الأسبوع.. نعم تحرك العجوز بعدما مضى خمسون عامًا، ولكن الحركة مؤلمة لحامد.

أتى العجوز إلى حامد في منامه منذ سبعة أيام، وقال (احمِ جدك)، لم يفهم حامد، فعاود في اليوم الثاني نفس المقولة ولم يفهم حامد أيضًا، فبدأ في ضربه في اليوم الثالث وهو يكرر نفس المقولة (احمِ جدك)، والحقيقة إن حامد من ألم عصا العجوز بدأ يتساءل، مَن جدي؟ وكيف أحميه؟

ولتكتمل تهديدات العجوز، كان حامد منذ اليوم الأول في حدة العجوز يجد شيئًا عجيبًا، شيئًا لا يصدق في ملابس نومه، كان يجد ترابًا

في جيوب ملابس نومه، نعم تراب، وهو يعرفه جيدًا من ساحة بيت جده في الجزيرة، تراب تعود أن يلعب به في صغره ويصنع منه أشكالًا كأي طفل في جزيرته، وحتى لا ترتاب أليسار كان ينتظرها حتى تقوم من جواره لتحضر له إفطاره حتى يدخل حمام منزله ويضع هذا التراب في نباتات تزرعها زوجته في نوافذ المنزل.

بلكنة ألمانية خالصة، دخل حامد على طلابه بوجهه الأسمر البشوش قائلًا "صباح الخير" وبجماعية وابتهاج رد طلابه "صباح الخير بروفيسور".

بدأ حامد محاضرته وفتح حقيبته قائلًا: اليوم سنتكلم عن التليف الكيسي للرئتين، هو مرض جيني، ومن أخطر وأشد الأمراض على الرئتين.. وبروح البروفيسور الطبيب تكلم مع طلابه عن الرحمة مع مرضاهم قبل التشخيص، فبدأ حديثه.

- كل مصاب تليف كيسي يُتوقع موته في أي لحظة فتخيروا كلامكم أمام مرضى التليف الكيسي لأن ما تنطقون به بمثابة أمل البقاء لدى مرضاكم.

الرئة في التليف الكيسي تعمل بنسبة 50٪ من وظائفها منذ الولادة، ما يستنشقه المريض هواء صناعي لتحافظ على نشاط ما تبقى من الرئة.

– نعم أرى في عيونك أنكم تريدون أن تسألوا في الزراعة، نعم يجوز الزراعة، ولكن عندما يبلغ المريض 17 عام حينها نفكر في الزراعة، ولكن قبل هذا تكون الزراعة مستحيلة.

وفي حالات الزراعة للمريض يضمن خمس سنوات بدون هواء صناعي يعيش مثل أي طبيعي أو أقل قليلًا.

وقت المناقشة انتهى، هل لديكم أي أسئلة؟

– هل البروفيسور مشغول حاليًا للتحدث..؟، كان هذا صوت د/ ماينز، وهو دكتور ومحاضر الطب النفسي وصديق د/ حامد في جامعة برلين.

رد/ حامد بصوت أجهش: لا يا صديقي خرجت من محاضرتي وسأذهب إلى مكتبي، قابلني هناك.

د/ ماينز: كيف حال صديقي مع كوابيسه المتكررة.

د/ حامد: العجوز انتقل لمرحلة الضرب المبرح.

د/ ماينز: حقًّا!!

د/ حامد: نعم.. أقوم من نومي بالكاد من ضرب العجوز المبرح ولا أعرف عما يتحدث وما زالت الكلمتين اللذين ينطق بهما لا غيرهما مع الضرب "احمِ جدك".

د/ ماينز: هلا ذهبت إلى رايتشل حتى تطمئن؟

د/ حامد: ما زالت ضغوط الطلبة ومناقشتهم ترهقني، ليس لدي وقت.

د/ ماينز: ماذا تفعل اليوم؟

د/ حامد: اليوم يوم أليسار.. سأذهب بها للعشاء.

د/ ماينز: عشاء فرنسي..؟

د/ حامد ضاحكًا: نعم عشاء فرنسي.

- هل زوجتي العزيزة بخير؟ كان هذا صوت دكتور حامد في هاتف زوجته أليسار.

أليسار: حبيبي.

حامد: سألتقي بكِ في خلال دقائق.

أليسا: حسنًا، أنتظرك.

وفي مطعم فرنسي في العاصمة برلين جلس الزوجان وكأنه أول موعد لهما، الحب الذي يدوم هو الحب الصحيح فما بالك بحب دام خمسة وثلاثين عامًا؟ فالحب هو الذي يصنع الدوام أو بالمعنى الأدق الحب الحقيقي هو الذي يدوم ويبقى.

بالرغم من أن أليسار لا تنجب، وبرغم أنه رجل شرقي بكل ما تحمله الكلمة، يتمنى ويتشوق أن يرى أبناءه ولكن يوجد شيء آخر لا يجعل هذا الحلم يكتمل، يوجد حب، لقد أحبَّها بكل ما تحمل كلمة الحب من معنى في قوانين البشر، فصارت قيمته قبل أن تكون زوجته، وصارت أخته وأمه قبل أن تكون حبيبته.

حامد: ما بك لا تأكلين؟

أليسار: بصراحة، قلقة عليك.

حامد: أعلم.

أليسار: تعلم وتتركني قلقة عليك؟!

حامد: أنا..

تقاطعه أليسار قائلة: أنت لا ترى نفسك بجواري على السرير، أنت تصارع كأنما تصارع موتًا، الموضوع يتكرر والقلق يزيد.. أرجوك لا تقلقني عليك أكثر من ذلك.

حامد: سأفعل إن حان الوقت وأنهيت أعمالي.

أليسار: ما بك تخشين الطب النفسي؟!

يقاطعها حامد في غضب قائلًا: لأن ما بي ليس له علاقة بالطب النفسي!

أليسار مندهشة: ماذا؟!

حامد: مثلما قلت لكِ يا أليسار ليس له علاقة بالطب النفسي.

أليسار: حامد!.. ماذا تقصد أن تقول؟

حامد: إنه موضوع متشعب يسمى وسط مدرجات العلم "ميتافيزيقيا".

أليسار: علم ما وراء الطبيعة!.. ماذا تقصد؟

حامد: أقصد أنني منذ الثامنة من عمري وأنا لست على ما يرام، ولكن هذه الأيام الأمور زادت عن حدها.

أليسار: ماذا!

حامد: كما قلت لكِ، الموضوع ليست له علاقة بالكوابيس وحسب، الموضوع أكثر من هذا، إنها كوابيس وأصوات، وأحيانًا أشكال وأشخاص.

أليسار ترد والدموع تملأ عينيها: كل هذا وأنت تحتمل دون أن تشركني في معاناتك.

حامد: نعم، ما كنت سأقوله لك يعتبر دربًا من الخيال، لقد فضَّلت التكتم حتى لا يرميني أحد بالجبن.

أليسار وعينيها تجهشان بالبكاء: شكرًا لك لأنك جعلتني هامشًا في حياة كنت تعيشها وهمَّت بالقيام فأمسك بيدها.

حامد: لم أقصد، أنا آسف حبيبتي.

أليسار: اترك يدي.

تركت المكان أليسار مسرعة إلى السيارة وهي تبكي، بينما ظل حامد ساكنًا للحظات ثم اتجه لسيارته في حالة سكون تام، لم يتذكر أنه أغضب أليسار حبيبته منذ فترة طويلة، هي الآن غاضبة جدًّا لأنه لم يذكر أمامها شيئًا من سره الكبير، والآن سرُّه هذا يؤثر على حياتهم.

نام ليلته وهو يفكر فيما سيفعل، فالوضع يزداد سوءًا وهو لا يعلم كيف يتصرف، وزوجته وحبيبته غاضبة منه وهو لا يدري ماذا يفعل، فهو يحبها ولكن لا يدري ماذا يفعل ليرضيها ويصالحها، لقد فكر كثيرًا في هذه الليلة وهو يعلم أن النوم سيغيب عنه.

دقَّ منبه بجوار سريره وهو لا يزال معتقدًا أنها السادسة والنصف صباحًا، قامت زوجته من جواره وكعادتها أحضرت له إفطاره قبل أن يذهب إلى جامعته وطلابه، ولكن لم يجدها كعادتها تنتظره على الإفطار، فجلس ولكن لم تأتِ فقام ولم يفطر ثم أخذ حقيبته وذهب.

* * *

إنها العاشرة في ساعة جامعة، برلين دخل مكتبه ورن الهاتف.

حامد: ماينز.. أين أنت يا صديقي؟

ماينز: خرجت من محاضرتي، أأنت في مكتبك؟

حامد: نعم أنتظرك، أرجوك لا تتأخر، أنا في حاجة للتحدث معك.

ماينز: لقد قلقتني دكتور حامد، أنا قادم إليك.

حامد: أنتظرك.

ماينز: ما بك يا صديقي؟ قلقتني عليك!

حامد: أغضبت أليسار البارحة ولا أدري كيف أصالحها.

ماينز: صديقي هي تحبك، لا تقلق، اتركها تهدأ وراضِها فهي لا تستغني عنك.

رن هاتف د/ ماينز خلال حديثه مع د/ حامد.

ماينز: د/ بيرج قرأت رسالتك، انتظرني في مكتبي وإن كنت متعجلًا فتعال، أن مع بروفيسور حامد، أتعرفه؟ إن لم تعرفه، فاسأل أي طالب عن مكتبه سيدلك عليه.

د/ بيرج: نعم أنا أحتاجك لأمر ضروري سآتي إليك

د/ بيرج هو دكتور في علم المصريات وفن العمارة المصرية القديمة.

طرق الباب

د/ ماينز: د/ بيرج، هذا د/ حامد من أكبر دكاترة الجهاز التنفسي في العالم، وأنت تعلم صديقي المقرب.

د/ حامد: أهلًا د/ بيرج، تشرفت بمعرفتك.

د/ بيرج: الشرف لي بروفيسور حامد، طلابي يحدثونني دائمًا عن تشوقهم لسماع محاضراتك.

د/ حامد: شكرًا لك، اجتهد والله الموفق.

د/ ماينز: د/ بيرج هذا د/حامد من عبق التاريخ الذي درسته لطلابك "ضاحكًا".

د/ بيرج: د/ حامد، أأنت مصري؟!

د/ حامد: نعم مصري.

د/ بيرج: من أي محافظة في مصر؟

د/ حامد: من أسوان.

د/ بيرج: من أين تحديدًا في أسوان؟

د/ حامد: من جزيرة تسمى ألفنتين بجوار أسوان.

د/ بيرج: واوو، أنت من قلب التاريخ يا د/ حامد.

د/ حامد: نعم "ضاحكًا"، أنا غارق حتى في تاريخي، لم أخرج منه إلى الآن.

د/ ماينز "ضاحكًا": أترككم لدقائق حتى أنتهي من مكالمة ضرورية.

د/ حامد: د/ بيرج، كيف حال طلابك من محاضراتنا المصرية؟

د/ بيرج: الشغف.

د/ حامد: ماذا تقصد..؟

د/ بيرج: الشغف والتشويق، الكلمتان اللتان أشرح بهما لطلابي الحضارة المصرية، الشغف في المعرفة، والتشويق في ترتيب الأحداث وسرد الحكاية وعظمة هذه الحضارة، اعذرني د/ حامد في هذا السؤال

(رغم أنك مصري، لمَ لا أراك كثيرًا في متحف برلين، فهو لا يبعد كثيرًا عن الجامعة؟).

د/ حامد: الدراسة والقراءة يملآن يومي ولا يزيدانه إلا إرهاقًا.

د/ بيرج: هذا رد دبلوماسي من بروفيسور عظيم "ضاحكًا".

د/ حامد: ولكني متشوق لأعرف كثيرًا عن بعض الأشياء أو الإجابات منك إذا سمحت لي.

د/ بيرج: كل الشرف، سأرد على تساؤلاتك.

د/ حامد: حميون.

د/ بيرج: ماذا!

د/ حامد: أقصد أهناك أحد من ملوك مصر القديمة يسمى (حميون)؟

د/ بيرج: لا، لو قرأنا تسلسل الملوك من الأسرة الأولى حتى الرابعة والثلاثين لا نجد ملكًا يحمل هذا الاسم، ولكن انتظر!، هناك شخصية حيرت العالم وتعتبر في عظمتها وإنجازها تضاهي الملوك.

د/ حامد: من؟

د/ بيرج: (حم آيون) أتقصد هذا الأسم..؟

د/ حامد: ربما، ومن حم آيون هذا.؟

د/ بيرج: (حم آيون) هو مهندس الهرم الأكبر وصاحب أعظم بناء فلكي في العالم، وأنت تدري عظمة هذا البناء، فهو أكبر عجائب الدنيا السبع، وأكثرها إعجازًا.

د/ حامد: فعلًا تاريخ مشوق.

د/ بيرج "ضاحكًا": أنت الآن محجوز لك مقعد في مدرجاتي.

د/ حامد: الشرف لي.

د/ بيرج: الشرف لي أنا بروفيسور ولكن د/ حامد اعذرني، لمَ (حم آيون)؟

د/ حامد: لمَ (حم آيون).. هذا ما أريد من وقتك الكثير لشرحه.

د/ بيرج: وأنا وإن كنت منشغلًا، فاعتبر وقتي ملكًا لك، حدد موعدًا لعشاء ساخن "ضاحكًا".

د/ حامد: أتعلم أني أحتاج لهذا العشاء وإن كان اليوم، فالموضوع لا يحتمل.

د/ بيرج: حقًّا!

د/ حامد: نعم، الأمر لا يحتمل، ما سأحكيه لك سينتشلني من أسئلة كثيرة تدور في رأسي.

د/ بيرج: إذن فليكن اليوم، أتحب الطعام الفرنسي؟

د/ حامد "ضاحكًا": طعام فرنسي، لا لا، فأنا لا آكل الطعام الفرنسي إلا مع زوجتي.

د/ بيرج: إذن، اختر أي مطعم وأنا سأكون في الموعد.

د/ حامد: هناك مطعم تركي رائع في حي "فريدريتش شاين كروزبيرج".

د/ بيرج "ضاحكًا": إذن فلنجعله طعامًا تركيًّا، أراك في السابعة مساءً.

د/ حامد: حسنًا، تشرفت بلقائك د/ بيرج.

د/ بيرج: الشرف لي بروفيسور.

طرق الباب وصوت د/ ماينز ويقول: أرى أن د/ حامد بات لديه صديق جديد.

د/ بيرج: نعم وهناك عشاء سيفوتك "ضاحكًا"، وداعًا مؤقتًا.

د/ حامد: إلى اللقاء د/ بيرج.

أخذ د/ بيرج حقيبته وودع الصديقين وكأنه لم يأتِ لأمر مهم يحادث فيه د/ ماينز.

د/ ماينز: ستخرجان للعشاء الليلة وتترك أليسار؟ أهذا يعقل يا د/ حامد!

د/ حامد: هناك أسئلة كثيرة تدور في رأسي يا صديقي، ربما صديقك يجد إجابات لها.

د/ ماينز: وأليسار!

د/ حامد بصوت منكسر: كل ما أفعله هذا لأليسار، انتظر يا صديقي حتى تفهم، لا تتعجل.

د/ ماينز: أنت تخفي عني سرًّا يا صديقي.

د/ حامد: الغد لن يصبح سرًّا يا صديقي، انتظر وسترى.

د/ ماينز "ضاحكًا" وهو يسير نحو باب مكتب د/ حامد: ما زلت مندهشًا، ما الذي قُلته لـ د/ بيرج جعلته ينسى ما كان قادمًا لي من أجله ويترك الباب خلفه؟

مضى حامد نحو باب غرفته ليغلقه وأمسك بهاتفه ليطمئن على حبيبته وشريكة دربه "أليسار".

رن هاتف أليسار عدة مرات قبل أن ترد بجفاء.

أليسار: ألو.

حامد: أما زلتِ في المختبر حتى الآن؟.

أليسار: نعم.

حامد: هل أكلتِ شيئًا منذ الصباح؟

أليسار: لا تقلق، لقد أكلت، الغداء جاهز، أنا سأتأخر اليوم في المختبر.

حامد: أأمر عليكِ بعدما تنتهين؟

أليسار: لا تتعب نفسك، سأعود مع صديقة لي حينما أنتهي من عملي.

حامد: حسنًا، سأراكِ ليلًا بعد العشاء، وسأذهب مع دكتور بيرج صديق دكتور ماينز للعشاء.

أليسار: حسنًا،.. إلى اللقاء.

حامد: إلى اللقاء.

* * *

أغلق حامد مكالمته مع زوجته وهو يحس من نبرة صوتها أنها ما تزال غاضبة، أليسار دكتورة في علم النباتات وتعرف عليها حامد في ساحة جامعة برلين، لم يرَ مثل عيونها عيونًا، كان اليوم الذي لا يراها فيه كأن الشمس هذا اليوم غابت عن الأرض، أحبها من أول نظرة.

عندما خرج معها في أول لقاء كان يظن أنه يحلم، كانت خجولة وترتدي نظارات طبية وكأنها لجدتها، ورغم ذلك كان من وراء عدسات نظارتها، رأى عيونها فسُحر، وتذكر ما كان يقرأه من أديبه المفضل

"مصطفى صادق الرفاعي"، وتذكر الحكمة من سؤاله لنفسه، من أنا بعد عشرة وحب؟ ولمَ لأكثر من ثلاثين عامًا؟ تذكر حينها من كان يسأل نفسه من أنا؟، ووجد في نفسه السر الخفي يقول: من هو؟

فحينما دخلت دنياه وضع الحب بينها "هي" حينما رآها، وبدأ يقرأها كأنها قصيدة غزلية في ديوان شعر لطيف، خلاب، ساحر.

وتذكر كيف مضت كل هذه السنين في عينه، ولم تزل كما هي منذ أن رآها أول مرة بابتسامتها الخجولة وعيونها البريئة.

وهل يسمع القلب كل هذا الحب ولا يبقى؟ وإن دامت عشرات السنين فهي موجودة معه، وإن كانت بعيدة فهي تتكلم في روحي وأنا أتكلم في قلبها، هي في حياته الضوء الذي يُلمس بالعين.

ظل يسأل روحه وقلبه طيلة صباه وشبابه، هل سيجده؟، هذه هي التي تكلم عنها الأديب وفي بلاد غير بلاده، وجدها الشمس وهي حولها شعاع رقيق تتنهد نسمة ضعيفة.

وهي في لونها ذات بياض أسمر محمر وضي يغترق العين حسنًا، وكأن ائتلاف الألوان الثلاثة فيها جملة مركبة من لغة النور والهواء والحرارة.

ولو أن نجمة سألت الله أن يفلقها امرأة فتنزل على الشعراء بوحي السماء وخيال السماء وأسرار السماء، لكانت هي، غير أنها لا تحسن الكتابة الفصحى.

فهل هذا الحب خلق إلا لينمو؟ وكأن السنين والأيام في قلب حامد ما هي إلا الماء الذي خلقه الله لينمو الزرع ويشتد، كل هذا يتجسد في معنى واسم واحد، "أليسار".

مضى حامد إلى بيته وكعادته رتب ملابس نومه وأخذ كتابًا ودخل إلى مكتبه وهو لا يدري ما يفعل ويقول لدكتور بيرج، هل يحكي له كل ما حدث معه منذ صغره؟ وهل عالم كهذا سيصدق ما يقول أم سينصحه بالطبيب النفسي أم سيشك في قواه العقلية؟

❋ ❋ ❋

جلس راع في زمن المجاعة قبل ألفين وخمسة عشر عامًا قبل الميلاد قلقًا على قطيعه بعد انخفاض مياة الفيضان، يعاتب الآلهة:-

مع من أتحدث اليوم؟!

الإخوة صاروا أشرارًا

وأصدقاء اليوم لا يعرفون للحب معنى

مع من أتحدث اليوم؟!

إن رغبة التملك تملأ قلوب البشر

ويحاول كل منهم الاستيلاء على خيرات جاره

الإنسان المسالم يذبل

والقوي يسحق الجميع

مع من أتحدث اليوم؟!

لقد انتصر الشر في كل مكان والخير طُرح أرضًا

وينادي ويستدعي الموت ليخلصه مما هو فيه ويقول:-

لقاء الموت اليوم

كالبريء بعد مرض

كمغادرة الدار بعد ألم.

لقاء الموت اليوم

كرائحة المر العطرة

كالجالس تحت مظلة ليشم الهواء العليل.

لقاء الموت اليوم

كرائحة زهرة اللوتس

والجلوس عند شاطئ السكرة.

لقاء الموت اليوم

كدرب المطر الهائل

وعودة الجندي إلى داره.

لقاء الموت اليوم

كانقشاع السماء

والكشف عن لغز محير.

لقاء الموت اليوم

كاشتهاء الإنسان العودة إلى ذويه.

بعد سنين طوال في الأسر اللعين.

* * *

ضربت المجاعة مصر القديمة "كمت" وسادت الفوضى إقليم الصعيد، وسادت الثورات وكان الملك حينها "منحوتوب الرابع" آخر الملوك المنفيين نسبة إلى منف وآخر من حكم مصر من الشمال.

وكان ميلادًا لسلالة جديدة تحكم مصر، سلالة عائلة أمراء طيبة أو أمراء الصعيد.

كان "أمنمحات" وزير الملك "منحوتوب الرابع" آخر ملوك هليوبوليس "عين شمس حاليًا" وكان ذي مسؤوليات عظيمة حتى إن الناس كانت تعتقد أنه يتقاسم الملك مع منحوتوب.

أمنمحات أو "حم ميسوت" أو مجدد الولادات لن يكون العرش سهلًا.

أمنمحات هو صعيدي في الأصل ابن كاهن يدعى "سن لوسرت" وامرأة تدعى "نفروت" ومسقط رأسها إلفنتين.

لم يجد أمنمحات غير صديقه المحنَّك "إيبي" ليثبته على الملك في "دأيبي" الحكيم، خاصة أنه أقنعه بأنه هو صاحب النبوءة.

قال له ذات يوم "إيبي": "يا أمنمحات يا صديقي، أرى أن الملك القادم المتوج بالتاج "ذات اللونين"، فضحك أمنمحات وقال:- يا صديقي نحن من سلالة العامة، فلم يشأ آمون أن يجعلنا من دم الملوك، وكيف أصبح ملكًا؟!

إيبي: أنت و"آمون رع" صاحب النبوءة.

أمنمحات: النبوءة!.. ماذا تقصد؟

إيبي: أتشك في ذمتي يا صديقي؟!

أمنمحات: لا أشك، فأنت حكيم مصر لست حكيم أمنمحات فقط.

إيبي: لقد قرأت نبوءات ووصايا الحكيم "جدي".

أمنمحات: أتقصد؟

إيبي: نعم.. حكيم الملوك العظام "سنفرو" ثابت هو سنفرو وخوفو صاحب الهرم اللغز.

أمنمحات: وماذا تقول نبوءاته؟

إيبي: يقول "جدي" أحكم حكماء هليوبوليس:

"سوف يأتي من الجنوب، يدعى (أمينى).

ابن لامرأة من الإقليم الأول في الجنوب، وهو من أبناء الصعيد.

سوف يأخذ التاج الأبيض، وسوف يرتدي التاج الأحمر.

سوف يجمع التاجين العظيمين وينشر السكينة بين الإلهين ومن يشاؤون".

ولا أرى غيرك يا صديقي في نبوءته، فأنت أمك من إقليم إلفنتين وهو إقليم الجنوب، وأبوك صعيدي كاهن ومن حكماء كهنة معبد آمون.

أمنمحات: بعد أن أطال في تفكير عميق وهل..، ليقاطعه إيبي على الفور قائلًا: "إن نشرت العدل ونصفت المظلوم وأديت الحقوق إلى أصحابها، فسأكون لك أخًا ووزيرًا وعضدًا وسندًا فأنت تستحق، و"جبت" تستحق أن ترى ملكًا من أبنائها لم يولد في قصر، وإنما ولد في معبد وأحس بالجوع والعطش، وتنفس روائح الأسواق ومشى فيها يلتمس غذاءً رخيصًا.

كانت كلمات إيبي كلمات الحلم إلى أمنمحات، وكانت حينها الدولة في ضعف والملك على مشارف الموت، ولم ينجب من زوجاته، فقد كان عاقرًا، فجلس لأول مرة على كرسي العرش وحكم البلاد لمدة لم تتجاوز الشهر حتى مات الملك.

أعلن حينها أمنمحات نفسه ملكًا لـ "جبت" ولبس التاجين وكل أمله أن يوحد القطرين كالعظماء من ملوك هليوبوليس.

قام ملك مصر صاحب التاجين من مكانه كغير عادة الملوك ليستقبل حكيم مصر "إيبي".

أمنمحات: إيبي صديقي وحكيمي وملهمي.

إيبي: المجد لك سموك صاحب التاجين.

أمنمحات: كهنة معبد آمون ما زالوا في حيرة من أمرهم، لم يأتِ أحد ليبايعني حتى الآن.

إيبي: لا تقلق سموك، سأذهب إلى المعبد لكي أتحدث مع كبير الكهنة.

أمنمحات: منقذي أنت.

إيبي: أنا في خدمة سموك صاحب التاجين، هل أسأل سموك سؤالًا؟

أمنمحات: سل واطلب تجب.

إيبي: من حتى الآن طالب بالحكم؟

أمنمحات: أنتف يقول أن أمه من سلالة ملك هليوبوليس وآخر يدعى "سجر سيني" حاكم إقليم النوبة.

إيبي: أما أنتف فحله عندي فهو يحب المال والضيعات والترف، أما سجر سيني فهو رجل لا يخاف الموت، ولا تشغل عينه الجواهر والضيعات.

أمنمحات: نعم يا صديقي، هو رجل صعب، ولكن سنرى إن كان يريد "جبت" أم يريد إقليم النوبة فقط.

❋ ❋ ❋

في مطعم في ضاحية من ضواحي برلين، جلس د/ حامد منتظرًا قبل معاده من د/ بيرج بخمس دقائق.

ليطل د/ بيرج في ميعاده، ويستاءل أين يجلس د/ حامد والغموض يكتف د/ بيرج، لماذا يحتاج إلى التحدث معي على انفراد رغم صداقته الشديدة لدكتور ماينز.

د/ بيرج: د/ حامد في الموعد كما أخبرتني، فأنا أعلم أن طلابك يضبطون ساعة جامعة برلين على مواعيد حضور محاضراتك.

د/ حامد: د/ بيرج، أنا سعيد لرؤيتك مرتين في يوم واحد.

د/ بيرج: الشرف لي د/ حامد ولكن اعذرني فأنا قادم وكلي فضول، ماذا يحتاج مني بروفيسور حامد؟

د/ حامد: ربما أنت صديقي بيرج من يجب على محادثته في هذا التوقيت من حياتي، لا أخفي عليك سرًّا، حياتي مرهقة ولا أجد إجابات، كما تعلم أنا طبيب قبل أن أكون معلمًا لجيل أطباء كبير وعريض في الجامعة، وكما تعلم فنحن المعلمون في جامعة عريقة كبرلين مضطرون إلى دراسة علم النفس السلوكي حتى لا نجد مشاكل مع طلابنا.

د/ بيرج: نعم بروفيسور، نحن درسنا علم النفس بكل حذافيره وكان ضروريًّا جدًّا للتواصل مع طلابنا.

د/ حامد: كي لا أزيد غموض أفكارك عن سبب لقائنا، سأدخل في الموضوع، فالطعام سيهون علينا جلستنا التي من المتوقع أن تطول.

د/ بيرج: تفضل بروفيسور أنا أسمعك.

د/ حامد: د/ بيرج، أنا منذ الثامنة من عمري وأنا أسمع وأشاهد أشياء وكأن حياتي فيلم سينمائي طويل، بدأت حكاياته في الثامنة وممتدة إلى الآن معي وكأنها حلقات وأجزاء وكلام لا أفهمه وأشخاص لا أعرفهم، أرهقتني حياتي ولولا أني احتفظت كل هذه الفترة باتزاني لكان عقلي ذهب أو كنت أعيش في مصحة، ورغبتي في العشاء المُلح معك، إن ما أراه خاص بدراساتك ومحاضراتك.

د/ بيرج: لا تقلقني عليك، ووضح لي ما ترى.

د/ حامد: باختصار أرى معابد وقصرًا ملكيًّا وأرى أشخاصًا منذ الثامنة مهما طال بي العمر وكبرت، وما زالت الأشخاص هي هي والمنازل والقصر والمعابد.

د/ بيرج: لهذا علاقة بالاسم الذي سألتني عنه في مكتبك "حم آيون"؟

د/ حامد، نعم وغيره من أسماء لا أفهمها، فهذا الاسم يتكرر في أذني منذ أسبوعين ولا أجد تفسيرًا إلا عندما سألتك، باختصار د/ بيرج أنا من مواليد جزيرة إلفنتين، التي تقع في أسوان كما تعلم، كان هناك غرفة في منزل جدي كانت أمي تخزن فيها الغلال من شعير وقمح وغيره، وكانت دائمة التحذير من هذه الغرفة أن أدخلها أو ألعب فيها أو حتى أمر بجانبها وهي مفتوحة الباب، وذات مرة دخلت كرة كنت ألعب بها في هذه الغرفة فدخلت لآخذها، ومن يومها وأنا أراه.

د/ بيرج: تراه!، من الذي تراه؟؟

د/ حامد: رجل في عمر جدي، يمسك بعصاة لم أرَ مثلها إلا في أفلام الأساطير والخيال العلمي، لا تشبه أي عصاة، كأنها ثعبان قائم محنط له رأس كبيرة تساوي ثلاثة أو أربعة أضعاف رأس الكوبرا المصرية، حاد الملامح لا يتكلم، ولكن حينما أتاني في حلمي، لا يصرف

عينه عن عيني، هذا الرجل أحيانًا كثيرة أراه في غير نومي، أراه أحيانًا جالسًا يستمع لمحاضراتي، أراه في بيتي، أراه جالسًا بجواري في سيارتي، لا يتركني، هو كظلي لا يتكلم ولا يصرف بصره عني.

أحيانًا كثيرة أسمع أصواتًا في أذني وكأني أضع سماعات أذن تتحدث لي بكلام لا أفهمه وبأسماء صعبة التذكر، وكأنها من مقاطع كثيرة مثل حميون الذي تكرر كثيرًا في الأيام الماضية، الذي عدلت لي أمه، ربما أقصد "حم آيون"، ماذا تفسر د/ بيرج، وهل فعلًا أنا محتاج لرؤية طبيب نفسي، فأنت تعلم أنا طبيب وأعلم أمراض الشيزوفرينيا جيدًا، أو الانفصام في الشخصية والازدواج فيها، وهذه الحمد لله ليست عندي فأنا أعلم نفسي جيدًا.

د/ بيرج: كلامك محير د/ حامد، أنت عشت كل هذه الفترة مع هذا الشخص وتلك الصور، فلم تتذمر الآن؟

د/ حامد: أتذمر لأن العجوز لم يكتفِ بالنظر؛ بل تكلم وعندما تكلم ضربني بل أبرحني ضربًا بعصاه.

د/ بيرج: ماذا... كيف؟

د/ حامد: منذ أسبوعين أو أكثر، بدأ هذا العجوز ينطق، لك أن تتخيل أنه نطق بعد كل هذه السنين ولكن لم يتكلم كثيرًا، نطق كلمتين فقط.

د/ بيرج: ماذا قال؟

د/ حامد: قال "احمِ جدك".

د/ بيرج: فقط؟

د/ حامد: فقط، كلمتين فقط ولكن ضربني بعصاه وهو ينطق هاتين الكلمتين، والأغرب أني أستيقظ من نومي وأجد في جيوب ملابس نومي ترابًا.

د/ بيرج: ماذا.. تراب؟!

د/ حامد: نعم د/ بيرج، تراب كتراب بيت جدي في أسوان، تراب كطمي النيل الذي كنا نلعب به ونصنع منه أشكالًا ونحن صغار.

د/ بيرج: وماذا تفعل في هذا التراب؟

د/ حامد: المشكلة هي ليست ما أفعل في التراب، المشكلة هي كيف يأتي هذا التراب إلى ملابس نومي كل ليلة منذ أسبوع.. هل لديك تفسير؟.

د/ بيرج: د/ حامد أنت تتكلم مع عالم من علماء المصرية القديمة بمعنى العمارة وفي بناء المقابر والمعابد وحتى منازل الأفراد والعمال، وما تقوله يحتاج إلى استنتاجات أصدقائنا من علماء "الميتافيزيقيا" وأنت تعلم أن المصري القديم إلى الآن الإنسان الحضاري الوحيد في العالم الذي حير كل الدارسين والعلماء ولكن فتاة إنجليزية شهيرة تسمى "دوروثي لويز إيدي" تدعى أم سيتي، هل سمعت عنها يا دكتور حامد؟

د/ حامد: لا لم أسمع بها.

د/ بيرج: لقد ولدت في بلدة ساحلية في لندن 1904، وفي سن الثالثة كانت تلعب فسقطت من أعلى درج في منزلها ومن حينها كانت تبدو عليها سلوكيات غريبة، وكانت بعد هذه الحادثة وبعد أن غادرت إلى منزلها كانت تطلب من أمها أن تذهب إلى البيت، فما كان من أمها إلا أن تمسك بالصغيرة وتقول نحن في المنزل يا ابنتي.

د/ حامد: وما علاقة هذا بقصتي د/ بيرج؟

د/ بيرج: انتظر لم أنته من القصة، بعد أن سقطت من أعلى الدرج، أصابتها متلازمة اللكنة الخارجية، أتعلمها؟

د/ حامد: على ما أظن وأتذكر من قراءاتي إنها متلازمة تكسب مريضها لغة غير لغته لا يعلمها ولم يتعلمها، وتصل إلى حد الإتقان من مفردات إلى كلمات إلى أن تصل إلى تركيب جمل.

د/ بيرج: نعم هي كذلك، سببت هذه المتلازمة لدوروثي مشاكل كثيرة، طردت من مدرستها لأن المتلازمة التي أتتها كانت في اللغة المصرية القديمة، فكيف تقارن الدين المسيحي الذي تتعلمه في مدرستها بالديانة المصرية القديمة؟ وبدأت مشاكل لدوروثي الصغيرة حتى كان يأتيها كهنة من كنيسة بلدتها وكانوا يظنون أنها متخبطة من الشيطان، لقد أخذها والدها إلى زيارة المتحف البريطاني وهنا حدثت المفاجأة.

وأكمل د/ بيرج: دخلت دوروثي غرفة المعارض بمعبد المملكة الجديدة وصاحت: هذا بيتي هذا بيتي، وكان هذا جزء من معبد سيتي الأول للملك العظيم والد رمسيس الكبير، لدرجة أنها كانت تحكي لكل من حولها عن سيتي الأول وأنه يزورها ليلًا ويتحدث معها، وبدأ سلوكها يتغير، وبدأ كل من حولها يشك في سلوكها ويتهمها بالجنون.

وتابع د/ بيرج: لقد أودعها والدها في مستشفى للأمراض النفسية ولكن لا فائدة، فتركوها بعد أن ملُّوا من نصحها، فعاشت حياتها كما

تحب، فدرست فنون الآثار المصرية القديمة، بل كانت تقتني كل ما يضع في يدها من آثار مصرية مهربة إلى لندن، وفي عام 1931 أو قبل أو بعد على ما أتذكر، تعرفت على مدرس مصري كان في بعثة إلى إنجلترا وعرض عليها الزواج فوافقت وأنجبت منه ولدًا وسمته "سيتي" فاشتهرت في قرية زوجها بأم سيتي.

وواصل: "كانت دوروثي تحكي لكل من حولها أنها مصرية من الأب والأم وليست إنجليزية، بل كانت تذكر أن أباها كان جنديًّا خلال حكم الملك سيتي الأول، أما أمها كانت بائعة خضار، وأن أباها بعد أن ماتت أمها ذهب بها للمعبد فأصبحت كاهنة منذ ذلك الحين".

وأكمل: "لكن مع ظروف عمل زوجها في العراق، انفصلت عنه، فهي لا تريد العيش سوى في مصر، وعاشت بجوار الهرم الأكبر بمكان يسمى "نزلة السمان"، حينها تعرف عليها العالم الجليل ومرجع من مراجع التاريخ المصري القديم "سليم حسين" وعملت معه كموظفة ومساعدة للباحثين المصريين، وكان المصريون يقدرونها ويحترمونها، وكانت تحضر احتفالاتهم رغم أنها كانت تقدم القرابين للآلهة المصرية القديمة.

ومن المفارقات أنها أرادت أن تعيش كما تزعم في المعبد الذي خدمت فيه وهي في عصر سيتي الأول، فانتقلت عندما كان سنها ثلاثة وخمسين عامة إلى معبد أبيدوس في الغرب.

وأنهى دكتور بيرج حديثه بشأن قصة "أم سيتي" قائلًا: "وهنا قرر كبير المفتشين هناك إخراجها، حيث كانت تقول أنها كانت كاهنة في أبيدوس منذ 19 عام، فوقف في ظلمة الليل في المعبد وأشار إلى جدارية خاصة، وكانت لا تراها جيدًا بل لا تراها أصلًا، فترجمتها وترجمت ما يليها من جداريات لدرجة أدهشت كل الحضور، الذين منهم من لا يعرف هذه الجدارية".

د/ حامد: أتقصد أنها كانت تعتقد بتناسخ الأرواح وأن روحها كانت تعيش في جسد كاهنة مصرية منذ أيام الملك "سيتي الأول"، هذه خرافة قديمة د/ بيرج؛ فالتناسخ ترفضه كل الأديان حتى الطوائف الدينية الغريبة ترفضه.

د/ بيرج: هذا يا صديقي حدث بالفعل، وأم سيتي يوجد لها قبر في مصر، ولست أدعي أنها تحولت إلى الواقع، يقول كذلك، فهي دلت

البعثات الأجنبية، بل العلماء المصريين على اكتشافات عدة، توضح أنها كانت على دراية بنقل ما حدث في عصر "سيتي الأول".

د/ حامد: هل تقصد أن حالتي تشبهها؟

د/ بيرج: لا أجزم بذلك؛ إنما أحاول أن أزيل عنك فكرة ربما تكون موجودة لديك، وهي أنك ترى أوهامًا أو خيالات تفسرها كما أردت، فمن الممكن حدوث هذه الأشياء بالذات لك لأنك مصري في المقام الأول، وولدت وترعرعت في مكان قديم قدم الكون، سأبسط لك الأمور حتى تفصح لي ما في صدرك، وإن مللت من كلامي فنبهني.

د/ حامد: لا يا دكتور بيرج، فأنا اليوم معك لكي أفهم وأُفصح عما بداخلي منذ سنين طويلة.

د/ بيرج: هل سمعت يومًا عن الحكيم أمحوتب؟

د/ حامد: أنت تعلم أني للأسف جاهل بتاريخ بلادي.

د/ بيرج: إذن سأحكي عنه باختصار، فإن تحدثت عنه سأحتاج لأكثر من عشاء حتى ننتهي من سرد أعماله وحكاياته.

أمحوتب هو مهندس وطبيب ووزير وفنان أيضًا، ولم يكن ملكًا، ورغم ذلك عبده أغلب المصريين كما كانوا يعبدون ملوكهم، بل ووجله وكرمه الإغريق واليونان، لقد اخترع أمحوتب العقاقير والوصفات الطبية، بل هو أول طبيب عرفته البشرية، ووصف عشرات الأمراض والإصابات وصفًا دقيقًا، وكان أيضًا أول مهندس معماري في التاريخ، يستخدم الأعمدة في بناء العمران، وهو من قام بتصميم هرم زوسر العظيم، وهو أول فلكي في التاريخ، بل هو أول من نظم الكتابة المصرية القديمة والتقويم الفلكي، وكان أيضًا شاعرًا فذًّا، بل هو أول من استخدم الحبر الأسود في الكتابة، ورغم كل ذلك أين هو؟ وأين مقبرته؟ بل أين سيرته بعد عهد الملك زوسر العظيم الذي بنى له هرمه في سقارة؟

لم يذكره التاريخ بعد زوسر، اختفى فجأة بدون أي مقدمات، ولم يذكره التاريخ أو جدريات المعابد الكبرى بأي شيء، والغريب اسمه الذي حيرنا كعلماء مصريات، فأنت تعلم أن المصري له اسم يمسى

الاسم الحوري، أي معنى اسمه، فمثلًا الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة وأبو العظيم خوفو كان يسمى سنفرو أي ثابت هو سنفرو.

ولكن ما نتعجب منه الآن يا صديقي هو اسم أمحوتب الحوري، فأمحوتب تعني الذي جاء بسلام، فمن أين جاء وإلى أين ذهب؟ لا أحد يعلم.

د/ حامد مندهشًا: تاريخنا يخفي كثيرًا دكتور بيرج.

د/ بيرج: أكثر مما تتخيل دكتور حامد.

د/ حامد: شجعني كلامك.

د/ بيرج: لأروي لك بعضًا مما أرى من عجائب.

❋ ❋ ❋

علا صوت في قصر الملك المعظم ينادي ويستأذن كهنة معبد منتو المعظم يريدون الإذن للدخول على جلالتك

ويرد أمنمحات المعظم: فليدخلوا علينا

دخل كهنة المعبد وكانوا يزيديون عن الثلثمائة وكان يتقدمهم الكاهن الأعظم وكعادتهم قبل أن يبايعوا أي ملك فلم يسجدوا، فهم مستنكرون لما يحدث، فأمنمحات بالنسبة لهم مغتصب ملك ومدعٍ أنه من سلالة ملكية لا يعرفون لها أصلًا ولا فصلًا، فكيف يقنع الملك الجديد وحكيمه إيبي الكاهن الأعظم الذي بمثابة إله حاكم لدى أغلب الشعب الكمتي "المصري".

رحب أمنمحات بالكاهن الأعظم وأظهر الكثير من تبجيله وتبجيل ثالوث هليبوبليس المعظم (إيزيس -أوزيريس – رع).

وهمَّ بالكلام ولكن استأذنه حكيمه "إيبي" في الكلام نيابة عنه فأومأ له بيديه أي تفضل.

إيبي: مرحبًا بك أيها الكاهن الأعظم، ومرحبًا بكهنة معبد مينت الإله الأعظم، مرحبًا بأطهر أهل كمت الذين وهبوا حياتهم لخدمة

معبدنا العظيم، وضحُّوا بكل ما يملكون من ملذات الدنيا ليشعروا بما يعاني منه الفقير والمحروم، فأنتم فعلًا معنى الرجال ولو كان الكاهن الأعظم تشغله الدنيا وأمور الحكم لذهبنا أنا والملك الكريم أمنمحات نبايعه في رعاية شعب المعبد، ولكن نحن ندري ونعي جيدًا أنكم لا تحبون القصور ولا حياتها.

ورأينا إذن الإله أن نولِّي علينا ملكًا منهم، من الشعب، من يحس بهم ويرحم ضعيفهم ويتجاوز عن مسيئهم، رجل لطالما كان عند ملكنا الخالد أمنحوتب الأخ والصديق والشاعر بأحوال رعية الملك وهو وزيره وصديقه وشادد على أزره وعلمنا أن الظلم انتشر وطمع في كمت كل من هو غير أهل بها، فتارة الأحباش يغيرون على الجنوب وتارة الآسيويون، يخربون ويحرضون العمال والمحافظين أن يتخذوا مقاطعتهم مدنًا ويستقلوا بها، فأردنا..

فقاطعه الكاهن قائلًا: "فأردتم اغتصاب الملك من سلالة أبناء آمون، لتغيروا منهجنا وتغيروا هوية "كمت" لكي تسمحوا لكل من تسول له نفسه أن يطمع في كرسيه بحجة نشر السلام وردع الظلم، فأي

ملك من حكام هليوبوليس، فهو صعيدي الأب وأمه من جزيرة النوبة، فهل سيرضى آمون الأعظم أن يخلفه رجل ليس من أهله وسلالته..

فقاطعه إيبي بصوت هادئ خجول وقال: يا كاهني، وكاهن ملكي، ويا كاهني "كمت" الأعظم، هذا ما كنت سأسرده لك، وآسف أني قاطعتك، فمن نصَّب ملوك هليوبوليس على "كمت " ليس حكماءها وكهنتها، ولا أَقصد حكماءها بنفي؛ ولكن أقصد كهنتها بحضرتك أيها الكاهن الأعظم، ولكي تعلم جيدًا، حكيم "كمت" الأكبر وحكيم أعظم ملوك هليوبوليس "جيدي" حكيم العظيم سنفرو: ثابت هو سنفرو وحكيم صاحب الهرم الأعظم خوفو.

الكاهن الأعظم: نعم، وهل أحد لا يعلم "جدي" الحكيم الساحر؟

إيبي: أتعلم ماذا قال لسنفرو عندما سأله عن حكم أبنائه وذريته؟

الكاهن الأعظم: أتقصد.. لا لا وقاطعه إيبي وقال:

- سأذكرك وأعلم أنك تذكر واعذرني إن أطلت في حضرتكم.

فبدأ مخاطبًا جموع الكهنة: "ذات يوم جاء الملك سنفرو ونزل إلى ساحة الشعب الذي يرعاه ونادى المنادى:

(عظيم كمت في حضرتكم "سنفرو ثابت هو" في مجالسكم فقدموا له التحيات) فاجتمع الناس، وكان سنفرو محببًا لشعبه، فجلس في وسط حلقة من الرعية وقال:

- قدموا تحياتكم فقدم الناس تحياتهم منبطحين على بطونهم من حضرة جلالتهم.

فسألهم وهو يستأنس بكلامه مع شعبه كعادته:

- أليس فيكم حكيمًا يجلس معنا ينصحنا.

فقالوا في صوت واحد نعم يا مولانا، لدينا حكيم ومرتل وساحر عظيم، يرتل أناشيد الفرح للآلهة "باست" آلهة الفرح" واسمه "جدي" وهو له الشرف العظيم أن يجلس عند قدم حضرتكم يا صاحب "جبت" العظيم.

فقال سنفرو: اذهبوا وأتوني به، ففرح الناس وذهبوا ليأتوا بجدي.

فدخل الحكيم "جدي" على ملكه وجلس بين قدميه.

قال له سنفرو بكل تواضع: يا صاحبي حدثني ببعض كلمات جميلة كلمات مختارة، حينما أسمعها ربما أجد لها تسلية.

جدي: هل تريدني أيها العظيم أن أحدثك بما حدث أم بما سيحدث؟ أي أتنبأ.

سنفرو: بل تنبأ أيها الحكيم، إن الحاضر قد دخل في الوجود ومر الإنسان من خلاله.

جدي: الأمر لك عظيمنا، فمد يده وأخرج من صندوق بجواره بكفت من الفاقات البردي وأخذ يقرأ.

"هذه تنبؤات الحكيم جدي حكيم الشرق، عابد الفرح، ابن مقاطعة هليوبوليس حينما كان يفكر فيما سيحدث في الأرض ويفكر في حالة الشرق:

حينما يأتي الآسيويون بقوتهم، وحينما يعذبون قلوب الحاضرين ويغتصبون ماشيتهم، إن ما أقوله يا عظيمنا رآه قلبي وقال: "أنصت يا

قلبي ودع تلك الأرض التي منها نشأت"، وبدأ الحكيم يصف حالة البلاد المحزنة: لقد أصبحت تلك البلاد خرابًا، فليس هناك من يهتم بها ولا من يتكلم عنها، ولا من يذرف الدموع عليها، فأي حالة تلك التي عليها البلاد؟ لقد حجبت الشمس فلا تضيء حتى لا يبصر الناس فجف نهرنا المقدس "النيل" حتى رأيت بقلبي الناس تسير فيه بعد أن جفت من المياه، وكل طيب في كمت من خيراتها اختفى، وتحالف حكام كمت في المقاطعات عليها فدخل الآسيويون إليها، وكمت سارت مغزوة تتألم، وحدث في البلاد ما لم يحدث قط من قبل.

فالرجل صار عدوًا لأخيه، والأخ صار خصمًا، والابن يذبح والده، والبلاد تحتضر، والأجنبي الآسيوي صار غنيًّا، والأرض المزروعة قد نقصت وصارت الحياة شحيحة وإن منطقة هليوبوليس لن تصير بعد مكان ولادة ملك من أبناء آمون العظيم.

وسكت إيبي وقال بصوت عالٍ "مسموع" حتى يسمع كل كهنة معبد مينت: اسمعوا كلمات الحكيم بعناية، فكل ما حدث وقاله الحكيم قد وصل في كمت، وهذا ما قاله "جدي":

"سيأتي ملك من الجنوب اسمه "أميني" وهو ابن امرأة نوبية الأصل، وقد ولد في هليوبوليس، وسيستلم التاج الأبيض، وسيلبس التاج الأحمر فيوحد البلاد بذلك التاج المزدوج، وينشر السلام في الأرضين، فيحبه أهلها ويخرج أهل زمانه، وسيجعل ابن الإنسان يبقى أبد الآبدين، أما الذين كانوا قد تآمروا بالشر ودبروا الفتنة، فقد أخرسوا أفواههم خوفًا منه والآسيويون سيقتلون بسيفه، والنوبيون والأحباش سيحرقون بلهيبه، والثوار سيستمعون لنصائحه، والعصاة إلى بطشه، وسيخضع المتمردون للصل الذي على جبينه، وسيقيم سورًا ليحمي كمت من غزو الآسيويين، وسينضب الماء مرة أخرى، وتشق القنوات وتعود المواشي لسابق عهده وفيرة ومبروكة، وستعود العدالة إلى مكانها، والظلم ينفى من الأرض، فليبتهج من يراه ويكون في خدمة كل الناس.

قال إيبي: أسمعتم يا أطهار كيميت؟ اسمه "أميني" وهو اختصار لاسم ملكنا العظيم أمنمحات، صعيدي الأب، كما أن ملكنا صعيدي الأب، ونوبي الأم، وأم ملكنا العظيم نوبية، فهي من بلدة من أشهر بلاد النوبة من إلفنتين المقدسة، عريض الجبين، وملكنا عريض الجبين،

فسيمحو الظلم الذي انتشر، وسيقطع شأوة الأجنبي الغاصب الناهب، ويرجع نهرنا العظيم لينضب بالماء، فهو منَّا، أحس بجوعنا وأحس بعطشنا ووجَّل مينتو المعظم إلاهنا، وقد ولد بيننا في هيلوبوليس كما قال أعظم حكمائنا..

فالتفت إيبي بكل حنكة وسياسة إلى الكاهن الأعظم وقال لجميع الكهنة: فما نرى أنا والكاهن الأعظم إلا أن نقوِّمه ونكون ذراعيه وعصا تمتد إليه إن أخطأ في حق رعيته أو لم ينشر العدل.

فوجد الكهنة أنفسهم يسجدون أمام ملكهم الجديد، فما كان من الكاهن الأعظم إلا أن انصاع لحيلة إيبي ومكره وسجد هو الآخر للملك.

❋ ❋ ❋

قاد/ حامد سيارته بعد أن أنهى عشاءً كان ينتظره منذ عشرات السنين، حتى يفصح عما في صدره لـ د/ بيرج عما يراه ويسمعه ورغم تشجيع د/ بيرج لحامد، إلا إنه لم يفصح بكامل ما بداخله ليستمع إلى بيرج.

وهل قابل مثل حالته؟ ولكن الآن الفكرة المسيطرة على عقله أنه أغضب أهم إنسان في حياته أليسار، فكيف يصالحها؟

مرَّ يومان ولم تشرق فى حياته شمس، فهو يعتبرها شمسه التي تنير له طريقه، نعم إنها غاضبة منه، ولكن هو يعلم أنها تحبه.

حامد صاحب الثمانية والخمسين عامًا وكأنه صاحب العشرين أمام أليسار في طاقة حب غريبة لزوجته ذات الخمسين من عمرها، فليس الحب إلا الذي يدوم سنينًا في ترابط وود واهتمام وتفاهم.

جال فكر حامد، كيف يصالح زوجته فقد اتفق معها منذُ سنين طويلة أنه لن يهديها وردًا، فكيف لورد حياته أن يهدى بورد الطبيعة؟ فهي بالنسبة له وردة لا تذبل بداخله، وكعادته حينما يحتار لم يحضر شيئًا.

دخل كعادته غرفته، خلع ملابسه وارتدى ملابس نومه، وكان الوقت يشير إلى منتصف الليل وحبيبته في مكتبه بحجة القراءة، ولكن هو يعلم أنها لا يهدأ لها بال حتى تراه وتطمئن عليه.

في مكتبه جلست حبيبته على أريكة وفي يديها كتاب تتصفحه، دخل حامد وبعفوية قبَّل حبيبته في جبينها وهو يردد لها كلمات الأسف، ولم ينتظر وجلس على الأريكة التي تجلس عليها، ومد قدمه ووضع رأسه على قدمها وأغمض عينيه لتترك الكتاب الذي تقرأه وتمسك برأسه كأنها أمه، وتحرك يديها في شعره حتى يرتاح ويسترخي جسده، أخذ حامد يعتذر وهو مغمغض العينين، فيقول: سامحيني حبيبتي، لم أرد أن أرهقك بما أرهقني في حياتي وهي تقول له لا عليك، لا عليك حبيبي، هل كان عشاؤك مثمرًا مع د/ بيرج هذا؟

حكى لها ما حدث وقال في نهاية حديثه: عله يزيح ما في صدري من هم سنين طويلة، ونام ليلته وهو في حجر حبيبته وأمه، فلقد تعود أن يزيح همه بالنوم في حجر أمه رحمها الله.

بمجرد أن نام حامد في حجرها وألقى عليها حمله الثقيل نست أليسار ما كان منه، وأصبحت شريكة في الهم الذي تحمله كتفاه مذ كان صغيرًا.

مجرد أن أخرج حامد ما في صدره لحبيبته، وأنه ليس غيرها من تحمل همه ويرتاح، بمجرد أن ينام في حجرها شعرت بقوة حبه لها، ونامت يومها وهي تحس أنها ملكت الكون كله، فمن يتسيد قلبًا يشعر أنه ملك الدنيا ببحارها وجبالها وأنهارها..

❋ ❋ ❋

استقبل ملك كيميت وعظيمها عامة الشعب أمام قصره المهيب، بعد إذعان وسجود كهنه معبد منتو فهم تذكره سجود الشعب كله له واستقبل الناس ملكهم بالأناشيد.

الثناء لك يا.. يا حور.. يا صقرنا المقدس الموجود

الذي يحمي الأرض ويمد حدودها

الذي يقهر البلاد الأجنبية بتاجه

الذي يضم الأرضين بين ذراعيه

والذى يمسك الأراضي الأجنبية بقبضته

الذي يقوي سهامه دون ان يشد خيط القوس

والخوف منه أخضع الآينو في بلادهم

والرعب منه قد ذبح قبائل البدو التسع

وسكينه قد أماتت الألوف من رماة السهام

وذلك قبل أن تطأ أقدامهم حدوده

وهو الذي يقوي السهم كالإلهة سخمت

حينما يهزم الألوف ممن لم يعرفوا بطشه

وإن لسان جلالته هو الذي يحكم نوبيا

ونطقه هو الذي يجعل البدو يولون الأدبار

والواحد الفريد ذو القوة الفتية الذي يزود عن حدوده

ومن لا يجعل شعبه يدب فيه الوهن

بل يجعل الناس ينامون في أمان إلى طلوع الفجر

وشباب جنوده ينامون لأن قلبه هو المدافع عنه

وأوامره قد أقامت حدوده

* * *

وحينما كان أمنمحات منشغلًا في تقبل التحيات من شعبه وفرحتهم به بعد انتشار كلام الحكيم إيبي أنه منكم، أي من الشعب يحس بمعاناتكم وفقركم وسيمحو الظلم وينشر العدل ويساوي بين شعبه، كلماته أثلجت صدورهم وجعلتهم يشعرون أن مينتو العظيم اختار ملكًا من بينهم لينجدهم من جوعهم الذي انتشر وبان في

أجسادهم، ويجد لهم ماءهم المقدس الذي انقطع عنهم لسوء إدارة حكامهم.

أحسوا بالأمل وإن كانت أقاويل الحكيم إيبي مجرد كلمات، فلم يعرفوا ملكهم جيدًا، إلا إنه كان وزيرًا جيدًا للملك الأعظم أمنحوتب ووسط نظرات النبلاء كان هناك من لم يرضَ على أمنمحات بعد.

إنه كان الكاهن الأعظم، الذي كان على يمين الملك، واستأذنه لحاجة، فأذن له الملك، وبعد أن توارى خلف عمود شاهق من أعمدة القصر انتظر وبعث بكاهن من معاوينه لطلب الحكيم إيبي، وذهب الكاهن إلى الحكيم يستأذنه أن الكاهن الأعظم يريده في شيء ما، فابتسم إيبي ولكنه يعلم وذهب نحو الكاهن الأعظم.

إيبي مستقبلًا الكاهن الأعظم: مرحبًا بطيب كيميت.

الكاهن الأعظم: أظنك ورطتنا في هذا الأمر يا صديقي، وأظن أن الأمر لن يدوم طويلًا حتى يطالب بالعرش أصحاب السلالة الأصلية.

إيبي: أين هم؟.. لا تقلق، استكفى هذا الشعب من الظلم والبذخ، إنهم يريدون من هو منهم، من يرفع شكواهم إلى آمون ومينتو، من يحمل أعباءهم، فلا تقلق أيها الكاهن، كلما زاد رخاء الشعب، زاد رخاء المعبد وكثرت الأضحيات.

الكاهن الأعظم: أنا لا أتكلم عن الأضحيات، أنا أتكلم عن العدل، فإن هذا الشعب يحتاج إلى عدل، فقد ظُلم كثيرًا.

إيبي: لا تقلق صديقي، فهو أقسم على أن يعدل وأرجو أن تسير معي حتى لا تشعر الرعية أن يمين الملك وشماله غائبين عن مراسم التنصيب.

استيقظ حامد مبكرًا كعادته ولكن هذه مرة لم يجد نفسه على سريره، وجد نفسه على أريكة مكتبه، تذكر ما حدث بالأمس وقام من نومه مستيقظًا يعلو وجهه الاندهاش، فهذه الليلة لم يأتِ إليه العجوز، ولم يضربه بعصاه كما يفعل مؤخرًا، والأغرب لم يجد في ملابس نومه ترابًا، كما كان يجد الأيام السابقة.

بوجه مبتسم دخلت أليسار على حامد بصباحها المعتاد

حامد: صباح الخير يا أليسار.

أليسار: صباح الخير، البروفيسور اليوم أراه قد غابت عنه أحلامه المزعجة، أذلك لأنك نمت في حجري؟

حامد مبتسمًا: أظن ذلك، فزوجك اليوم مستيقظ منتعشًا منذ سنين طويلة جدًّا جدًّا جدًّا.

أليسار مبتسمة: إذن، من اليوم ستنام على حجري.

ارتدى حامد ملابسه وأفطر مع زوجته، وقبَّل جبينها كما يفعل كل يوم واستأذنها في الخروج، وكعادته ألقى الصباح على سيارته المرسيدس

القديمة، وارتدى حزام الأمان ونوى الذهاب إلى جامعته، وفي الطريق رن هاتفه برقم مألوف فرد:

د/ حامد: ألو، من معي؟

د/ بيرج: أنا، دكتور حامد، ألم تسجل رقم هاتفي بعد؟

د/ حامد: آسف د/ بيرج، فعلًا لم أسجل الرقم بعد.

د/ بيرج: أراك اليوم في مكتبي، إن لم تمانع.

د/ حامد: لا أمانع طبعًا، سأنهي محاضرتي وسأراك في العاشرة

د/ بيرج: في انتظارك بروفيسور.

د/ حامد: إلى اللقاء يا صديقي حتى ألقاك.

د/ بيرج: إلى اللقاء يا صديقي.

أنهى دكتور حامد محاضرته ودخل مكتبه فوجد صديقه ماينز في انتظاره

ماينز: أرى وجه صديقي متغير عن الأسابيع الماضية

حامد: احمد الله يا صديقي، فأحلام صديقك المزعجة يبدو أنها ملَّت من إزعاجي، فلم تأتِني اليوم.

ماينز مبتسمًا: أرى أن عشاء الأمس مع د/ بيرج أتى بثماره.

حامد: د/ بيرج! نسيته، إنه ينتظرني في مكتبه.

ماينز: هل ستذهب الآن؟

حامد: نعم.

ماينز: إذن سأراك بعد أن أنهي محاضراتي.

حامد: سأراك حينها.

مشى حامد في أروقة جامعة برلين العريقة ونسى أن يسأل دكتور بيرج أين يقع مكتبه، وحينما كان يسير وجد طالبة تدرس لديه فابتسم لها، فاتجهت إليه الطالبة:

الطالبة: بروفيسور، لا أراك كثيرًا في أروقة الجامعة.

حامد: أنا ذاهب إلى قسم الفن المصري القديم أو التاريخ المصري القديم، أتعلمين من أين أتجه؟

الطالبة: نعم في آخر الممر قاعات المحاضرات، في يسار قاعات المحاضرات مكاتب أساتذة الأقسام.

حامد بابتسامة معهودة: شكرًا لكِ.

سار حامد كما وصفت له طالبته وعند نهاية الممر، وجد القاعات ومكاتب الأساتذة وبحث عن د/ بيرج ليجده أول مكتب، وطرق الباب حينما كانت تدق العاشرة في جامعة برلين، فرفع بيرج صوته ليأذن لمن يطرق الباب الدخول.

حامد: د/ بيرج، سعيد لأني أراك ليلًا وصباحًا (مبتسمًا).

د/ بيرج: أنت في موعدك كالعادة، تفضل صديقي.

جلس حامد ليجد امرأة في العقد السابع تجلس على أريكة، فأومأ لها محييًا وقالت بصوت مسموع: أهلًا بروفيسور وجاء صوت بيرج:

- آه، لم أعرفكما، دكتور حامد.. هذه دكتورة إيفيت صديقة وزميلة، آسف لأني لم أذكرها في مكالمتي عندما تحدثت معك فهي للمساعدة.

حامد: أهلًا دكتورة إيفيت.

إيفيت: مرحبًا بروفيسور.

بيرج: دكتورة إيفيت عملت في بعثات كثيرة في مصر، فقد نستفيد من خبرتها، فهي مرجع لنا كلنا في القسم.

د/ حامد: هل تكلمت معها بخصوصي؟

د/ بيرج: بالتأكيد لا، فلم أستأذنك بروفيسور، أنتظرك، الأمر لك إن كنت تريد أو لا تريد.

حامد: حسنًا، أنا قادم إليكم لأفصح عما بداخلي من هواجس وأصوات تتردد في داخلي، فاليوم سأفتح صندوقًا في داخلي مقفلًا منذ خمسين عامًا.

د/ إيفيت: هل يمكنني أن أجلس معكما، وأستمع (بابتسامة خجولة).

حامد: تفضلي طبعًا، أولًا سأذكر الأسماء التي دائمًا أسمعها أسماءً تكررت منذ الثامنة من عمري لدرجة أنني حفظت هذه الأسماء عن ظهر قلب، سأذكرها لكم..

أمنمحات

إيبي

سنوهرت

سنوسرت

سنوسرت الثالث

منذ أيام يتكرر عليَّ اسم لم أكن أعلمه جيدًا حتى خمن د/ بيرج من يكون، فقال لي الاسم هو "حم آيون"، أما بالنسبة للصور فأنا أرى مدينة كاملة وسورًا عظيمًا وناحيتها الغربية مساكن تبدو راقية، ولكن بدائية المنظر، وناحيتها الشرقية مساكن تبدو بالية بعض الشيء عن المساكن الغربية، أرى ملكًا عظيمًا يهابه الناس، وأرى بجواره رجلًا تبدو عليه علامات الحكمة وأرى الملك يشاوره بصوت خافت، أسمع أشياء كأنها ابتهالات أو صلوات لعبادات مصرية قديمة ولكن الصور المتكررة التي أراها ولا تفارقني..

مركب مهيب من سفن غريبة الشكل متزينة بلبوس حيوانات خشبية، يذهب الموكب ناحية الهرم وكأنه مكسو بصفائح أحجار من نور وينتزع منه أشياء وتكون عملية دخول الهرم هذا ليلًا فلا أرى جيدًا ما يحملون من الهرم ويصعدون به إلى المركب ويسير الموكب في النيل بنظام شديد، سفينة تلو الأخرى في خط في الماء لا يخطئ حتى يستقر في بيت جدي في إلفنتين، وفي غرفة معينة في بيت جدي يحفرون حفرة عميقة ويبنون بنيانًا ليضعوا فيه الأشياء التي خرجت من الهرم، وعندها أراه.. من يلازمني في كل أحلامي، رجلٌ بعمر الـ 60 أو يزيد، ممسك بعصاة يلتف حولها ثعبان مخيف، لون ثعبانه يميل إلى السواد، تشعر بالانقباض حينما تراه، شكل عصاه وكأنها عصاة تأديب يتابع في هدوء نقل الأشياء ولا يتكلم مع أحد وكأنه لم يرونه، وعندما ينهون كل شيء يأخذ ترابًا من الأرض وينشره على البنيان وهو يتمتم بكلام غير مفهوم.

وعندما ينتهي ويخرج العمال يشير إليَّ بحزم بعصاه إلى هذه البقعة من بيت جدي، ولكن لا أفهم ماذا يقصد.

تنهد حامد وكأنه أزاح همًّا مغمورًا منذ سنين، ونظر إلى إيفيت وبيرج المندهشان، وهنا يظهر صوت بيرج.

د/ بيرج: ها إيفيت، ما تفسيرك؟؟

وقبل أن تنطق إيفيت، تكلم حامد (مبتسمًا): أرجوكِ صفي حالتي بأي شيء غير أنها هلاوس سمعية وبصرية.

إيفيت (مستغربة): بروفيسور، أهذه الصور والأصوات معك منذ 50 عامًا؟

حامد: نعم، وبقدر الإمكان اختصرت.

إيفيت: الأسماء الذي قلتها، متأكد من صوتها.

حامد: نعم.

إيفيت باستغراب: أنت رأيت كيميت (مصر القديمة) في ثوبها المكتوب في الكتب عندنا في عصرها الذهبي، في عصر أمنمحات صاحب «النبوءة» وإيبي حكيمه وسنوهورت كان عاملًا عند الملك، أما سنوسرت هذا ابن أمنمحات ووريث العرش، وسنوسرت الثالث هو

حفيد أمنمحات وحفيد سنوسرت الأول، ولكن لماذا بعد كل هذه السنين تفصح عما بداخلك؟

حامد: أتذكرين هذا العجوز الذي كلمتك عنه وعن عصاه؟

إيفيت: نعم؟

حامد: بدأ هذا العجوز منذ أيام يضربني بعصاه بحدة ويقول "احمِ جدك" فقط نطق كلمتين بعد خمسين عامًا "احمِ جدك".

إيفيت: إممممم، ولكن ما دخل "حم آيون"؟ فهو مهندس خوفو وهو يسبق أمنمحات بثمانية أسر، فهو في الرابعة والآخر في الأسرة الثانية عشر.

حامد: أنا قادم لأجد إجابة لديكم.

وهنا تكلم بيرج: أنت ذكرت لي أن هذا الاسم يتكرر معك هذه الأيام كثيرًا، أتعلم أن تمثال "حم آيون" في متحف هنا في ألمانيا في منطقة هيلدسهايم.

حامد: آه، نسيت شيئًا مهمًّا، وأنا أعلم أن علماء المصريات يدرسون طبقات الدفن.

بيرج: علم طبقات الأرض للدفون أو المقابر اسمه الآركولوجي.

حامد: الأغرب من كل الأحلام والرؤى والهلاوس أني أجد ترابًا يشبه تراب بيتنا في إلفنتين وكأنه طميٌ من طمي النيل كنا نشكِّله ونحن صغار لنلعب به، هل هناك تفسير لهذا أيضًا؟

بيرج: بروفيسور، أأنت متأكد؟ وهو ينظر إلى إيفيت بدهشة.

إيفيت: هل معك من هذا التراب في المنزل دكتور حامد؟

حامد: نعم، فأنا أضعه في وعاء زرع لأليسار زوجتي كل يوم حتى لا تشك في شيء.

إيفيت: فلنذهب إلى بيتك دكتور حامد إن لم تمانع.

حامد: الآن!

إيفيت: نعم الآن.

حامد: إذن تفضلوا.. كل الشرف.

خرج حامد بعد أن اتفق أنه سيخرج إلى سيارته في انتظارهم وبقت إيفيت وبيرج وكان هذا النقاش بينهما.

بيرج: لمَ سنذهب إلى بيته، لقد كان بإمكانه إحضار هذا التراب غدًا.

إيفيت: لنتأكد أنه لا يهذي، فكل ما يقوله من الممكن حدوثه ولكن موضوع التراب هذا مبالغ فيه كثيرًا، ولنطمئن عليه حتى لا يكون فعلًا كما قال مصابًا بالهلاوس السمعية والبصرية.

مضى الثلاثة إلى بيت حامد وكلٌّ منهم تجول في رأسه أفكار متشابهة حتى وصلت السيارة إلى بيت حامد، أذن حامد لهم بالدخول والجلوس وكانت أليسار في معملها، عرض عليهم حامد القهوة لأنهم تركوا محاضراتهم، تركهم حامد وأتى لهم بوعاء الزرع الذي يضيف إليه التراب الذي يجده في ملابس نومه.

عمَّ الصمت وذهلت إيفيت وقالت: فعلًا بروفيسور إن هذا طمي نيل وإنه فعلًا يستخدم في طبقات دفن المقابر، واستأذنته أن ترحل، فبعد اندهاشها أرادت تكملة حديثهما في الجامعة حتى تستعين بمراجعها.

وفي الجامعة، اقترحت إيفيت أن يذهب حامد إلى هيلدسهايم لرؤية تمثال "حم آيون" وقالت ربما هذا الصوت يتكلم حينما يرى

التمثال، فهو يردد اسمه كثيرًا، أقصد يردد اسم "حم آيون"، إذن يحتاج إلى رؤيته.

حامد: ولكن هيلدسهايم بعيدة عن برلين، فلنرتب مواعيدنا ونذهب لنراها.

إيفيت: بروفيسور، أنا لا أنتظر حتى إن قلتم إلى الغد.

حامد: ماذا تقصدين؟!

إيفيت: بروفيسور، سأحجز تذاكر طيران لنلحق بالمتحف قبل أن يغلق.

حامد: ولكن.. بيرج يقاطعه: د/ إيفيت في نفسها شيء بروفيسور، لنرى يا صديقي فلن نخسر شيئًا.

❋ ❋ ❋

يا ملكنا العظيم لا يأتي الرخاء إلا بالقوة حتى ينعم شعبك بالعدل، لابد أن تقتل الأفعى وتقطع رأس الشياطين الذين ينهبون كيميت، كان هذا صوت إيبي حكيم الملك المعظم.

كلمات إيبي جعلت أمنمحات يجهز جيشًا جرارًا من 20 سفينة على رأس جيشه ليبعث رسالة لكل شعب كيميت أنه ملك من الملوك التي لا تحب الجلوس كثيرًا على الكراسي وحياة القصور؛ وإنما يكون شجاعًا مغوارًا، ومضى أمنمحات ومعه قائد جيشه الموثوق "خنوم حتب" ليدقوا عروش المغتصبين من النوبة والحبشة والآسيويين الذين ينتشرون في البلاد سالبين أهل كيميت خيراتها، فمضى إلى الجنوب حتى استوت له حصونها وعروشها، ودان لهم كل من فيها، واستولى على الأراضي المنخفضة والأراضي العليا في كلا القطرين، وأصبح بالفعل يستحق تقلد التاجين الأحمر والأبيض فهو موحدهم، وبعد أن استقرت البلاد كافأ أمنمحات "خنوم حتب" قائد جيوشه أن جعله أميرًا على أهم بلاد الجنوب "منعات خوفو" بني حسن بـ "المنيا"، ومضى ليسكت البدو في

عقر دارهم في الصحراء الشرقية، فخضعوا للملك وأذعنوا حتى أنهم سجدوا لقوة وسيطرة الملك المعظم.

كانت هذه البداية فقط ليعلم كل من تسول له نفسه من حكام المقاطعات أن ملك كيميت ليس بالهين ولا بالضعيف.

كانت أوامر أمنمحات واضحة لأهل كيميت، فالأمور الإدارية في الدولة لن تكون إلا للكفاءات، فانتظم الجهاز الإداري لكيميت وغابت المحسوبيات ورجع لكيميت عصرها الذهبي بل كان أمنمحات مؤسس العصر الذهبي لكيميت.

أذن أمنمحات لحراسه في دخول الحكيم إيبي عليه.

إيبي: المجد لعظيم كيميت.

أمنمحات: المجد لعقلك صديقي الأمين، أبشرك بانتصارنا في بلاد النوبة

(لقد أذللت الأسود، واصطدت التماسيح، وقهرت أهل واوات وأسرت قوم المازاوي وجعلت الآسيويين يمشون كالكلاب).

مضت كيميت من ذهو إلى ذهو فالملك وعد فأوفى، الشعب في رخاء، وعدل، ومضى على حكم الملك الذهبي سبعة وعشرون عامًا من العدل والرخاء لم تشهده كيميت من بعده، ولكن حكم الزمن ألا يترك حالًا على حاله فبدأت بوادر الأزمة.

❋ ❋ ❋

ذهب الثلاثة إلى الجامعة نزولًا على رغبة إيفيت، وذهب حامد ليجلب حقيبته وترك إيفيت وبيرج وكان هذا الحوار بينهما:

بيرج: ماذا كان يدور في ذهنك عندما جعلتِنا نذهب عند بيت البروفيسور؟

إيفيت: لنتأكد يا صديقي، لقد وجدت في مكتبته كتبًا في المجال الذي يتخصص فيه وكتبًا عن النباتات.

بيرج: نعم، أنا أعلم أن زوجته عالمة نباتات.

إيفيت: أظن ذلك.

كما وعدت إيفيت، أحضرت ثلاث تذاكر طيران إلى هيلدسهايم، حيث يقع المتحف الذي يحتوي على "حم آيون".

راقب الثلاثة الطائرة وكانت الساعة تشير إلى الساعة الثانية ظهرًا، وصل الثلاثة إلى المتحف، وهناك في القسم المصري القديم وقفوا أمامه، إنه تمثال "حم آيون" العظيم، مصمم ومهندس الهرم الأكبر، المهندس والفلكي الذي يعتبر منشأ أعجب عجيبة بشرية خالدة، ووقف حامد

أمام "حم آيون" مفتخرًا أن هذا الفن صنعه أجداده، ترك بيرج وإيفيت حامد في ذهوله ووقفوا يتناوبون حديثًا جانبيًّا خلفه.

بيرج: ماذا لو لم يتكلم الصوت الذي يكلم حامد

إيفيت: سيتكلم وثق في ذلك.

بيرج: أتعلمين كم مر من الوقت على وقوف حامد أمام التمثال؟

إيفيت: أعلم، يقترب على الساعة لم يتكلم.. يشاهد كل تفاصيل التمثال في صمت.

حامد وكأنه أفاق من سكرة طويلة: ناظرًا إلى بيرج وإيفيت بجواره فلم يجدهما، فنظر خلفه فوجدهما يتحدثان في هدوء.

حامد موجهًا كلامه لإيفيت: هلا ذهبنا دكتورة؟ فجسدي يسري فيه تنميل غريب، أنا لا أبدو بخير.

إيفيت موجهة كلامها لبيرج: أحضر كرسيًا سريعًا للبروفيسور.

حامد: بعد أن جلس، لماذا أتيتِ بي إلى هذا المكان يا دكتورة؟ (معاتبًا إيفيت)

إيفيت: لنربط الأشياء وتصبح بخير يا بروفيسور.

حامد: كيف؟

إيفيت: ألم تسمع تلك الأصوات بروفيسور التي تلح عليك بـ "حم آيون"؟

حامد: ولكني لم أسمع شيئًا يا دكتورة، فالأصوات اختفت حينما رأيت التمثال، أنا أشعر بإعياء شديد وجسدي يسري فيه شيء غريب.

إيفيت: إذن بروفيسور، فلنغادر إلى المنزل.

بيرج: أأساعدك بروفيسور؟

حامد: شكرًا يا صديقي.

وخرج الثلاثة ولم يصلوا إلى باب المتحف حتى استوقفهما حامد قائلًا بدهشة: انتظرا.. حدث شيء غريب!!.

❄ ❄ ❄

حم آیون

إيبي: ما الذي يزعج ملكنا العظيم؟

أمنمحات: النساء يا صديقي، أحس بشيء غريب، منذ أن جعلت الأمير سنوسرت في الحكم معي وأنا أحس بالضغينة بينهم وبيني، فأنت تعلم صديقك، زيجاته كثيرة، وأشك أنهم يحقدون على سنوسرت.

إيبي: يا ملكنا المعظم، أعلم أن آمون معك، فأنت من جعلته يقدس في نفوس الناس من جديد.

أمنمحات: أتذكر يا صديقي كيف خلعنا "مينتو" إله الحرب لنرجع لآمون مجده؟

إيبي: وكيف أنسى يا ملكنا العظيم؟ فحتى الناس كانوا يريدون معبودًا جديدًا فإنهم أحسوا (مينتو) خذلهم، فبفضل ملكنا العظيم، أرجع إلى كيميت معبودها الأفضل وثالثوها المعظم (آمون شمسنا العظيمة – موت أمنا الكريمة – خنسو قمرنا المنير) ورجع النفوذ إلى كهنة معبد آمون ورجع لطيبة مجدها.

أمنمحات مناديًا: سنوهت (خادم الملك المقرب).

سنوهت: أمر ملكنا العظيم.

أمنمحات: أحضر لنا مشروب الأعشاب واستأذن الأمير سنوسرت بالدخول علينا.

سنوهت: أمر ملكنا العظيم.

أمنمحات: سنوسرت، أوصيك يا بنيَّ أن تكتب كل كلام حكيمنا وحكيم كيميت "إيبي" وانشره بين الناس، فبفضله عادت كيميت إلى عزها وانتشر السلام.

إيبي: الفضل لعدل ملكنا، وأنتهز وجود ملكنا القادم أن أشكره لما يصنعه للناس، فالناس في الأسواق تتكلم عن خزان المياه الجديد.

سنوسرت: الفضل يعود إلى ملكنا المعظم، فهو الذي أشار إلى بناء البحيرة والخزان، وهو الذي اختار بحيرة (موريس) إقليم الفيوم موقعًا له.

إيبي: كل ملك أيها الأمير المعظم له نصيب من اسمه، وملكنا العظيم أمنمحات أي (آمون في المقدمة)، جعل آمون فوق مصالحه

ورخاء عصره، فكان لكيميت عصرها الذهبي الذي لن تراه إلا في هذه الأسرة، وهي أسرة أمنمحات المعظم، أمير الشعب وملكهم وأخوهم وحامل هم الفقير والمحروم، صاحب التاجين.

أمنمحات: أشكرك صديقي فلولاك ما كان الملك ولا التاج، فأوصيك يا بني أن تسمع وتعي كل كلمة يقولها ذلك العجوز وتتخذها محمل الجد مهما كانت، حتى لو على غير هواك.

وقف بيرج وإيفيت منتظرين وقوف حامد المفاجئ ليتكلم:

حامد: الصوت ينادي في أذني (حم آيون، حم آيون، حم آيون)

إيفيت: بروفيسور، أرجوك ارجع للتمثال وتحامل على نفسك، لنحل هذا اللغز.

حامد: إذن فلنرجع.

وقف حامد أمام التمثال ووقفت بجواره إيفيت

حامد: ما هذا؟

إيفيت: ما الأمر بروفيسور؟!

حامد: إنهم يتكلمون مع بعضهم البعض.

إيفيت: من؟

حامد: الصوت الذي في أذني والتمثال.

إيفيت: انقل لي ما يقولون.

حامد: ألقوا على بعضهما السلام، الصوت يلقي السلام على التمثال، والتمثال يرد!!

إيفيت: انقل لي.

حامد: الصوت يقول: كيف حال صديقي "حم آيون".

التمثال: كيف حال صديقي "جدي" كيف وصلت إلى هنا؟

الصوت: وصلت في جسد هذا الرجل.

التمثال: لمَ؟

الصوت: لألقي عليك السلام، فأنت الصديق الأوحد الذي أعرفه في هذه البلاد البعيدة عن كيميت.

التمثال: ولمَ هذا الرجل؟

الصوت: أتعلم من هذا الرجل؟

التمثال: من؟

الصوت: إنه حفيد عظيم كيميت الذي تنبأت به لسنفرو، إنه حفيد أمنمحات الذهبي الذي عاشت كيميت رخاءً في عهده.

التمثال: وما شأنك به؟

الصوت: منذ أن كان طفلًا في منزل جده واللصوص يريدون سرقة مقبرة "أمنمحات" فأردت أن ينتبه.

التمثال: وهل انتبه؟

الصوت: انتبه بعد خمسين عامًا وأنا معه.

التمثال: وقبل الخمسين وأنت تحرس مقتنيات وجسد جده؟

الصوت: نعم، فأنت تعلم أن صديقك جيد في اللعنات.

التمثال: جيد فقط؛ أنت صاحب اللعنات والساحر الأعظم لكيميت يا صديقي.

الصوت: وأين كيميت؟ رجعت لأسود حالاتها، لقد تنبأت منذ آلاف السنين يا صديقي أن أهل كيميت يسيؤون إلى بعضهم، ويأكل القوي فيهم الضعيف، وانتشر الفساد وانتشر الظلم، ولمن يبقى منهم من يذكرهم أن أوزير قادم بالموقت ليقبض أرواحهم، أتتذكر يا صديقي إعلان البراءة؟

التمثال: وهل ننسى إعلان براءة عبورنا إلى الخلود؟

الصوت: في محكمة أوزيس أقف وأقول بكل إذعان:

إني لم أكُن جائرًا على البشر، إني لم أعامل الناس بالسوء

إني لما أرتكب خطيئة في مكان أبدًا، إني لم آتِ شرًا

إني لم أسب الآله، إني لم أسلب إنسان ممتلكاته

إني لم أترك شخصًا يتضور جوعًا، إني لم آمر بالقتل

إني لم أتسبب في تعاسة شخص، إني لم أرتكب لواطًا

إني لم أقتطع في المكيال، إني لم أغش في الأراضي

إني لم أحبس المياه في زمن الفيضان، إني لم أبعد القطعان المخصصة لطعام الآلهة

وتعلن براءتي وأتحول إلى..

التمثال: نعم يا صديقي هذه تعاليمنا وهكذا كانت أخلاق أهل شعب كيميت.

الصوت: ستندهش أنهم لا يفعلون من ذلك شيئًا، بل يجيرون على بعضهم، ويعاملون بعضهم بالسوء، ويرتكبون الخطيئة في الملأ والأفق، ويأتون الشر بينهم.

التمثال: لا نحزن يا حكيمنا العظيم "تتبدل الأحوال والزمان".

الصوت: جئت إليك اليوم لأستشيرك في أمر.

التمثال: مُرني يا صديقي.

الصوت: أريدك أن تذكرني بالفخوخ الهندسية.

التمثال: في الهرم الأكبر؟

الصوت: لا في مقبرة جد هذا الكمتي "أمنمحات".

التمثال: أنت تعلم يا صديقي أن الزمن تغير، ولم أصنع فخوخًا غير الأهرام، فلو كان هرمًا لنصحتك.

الصوت: لا إنهم أنقذوه من هرمه، فحفيده الملك المعظم "سنوسرت لثالث" أخذه من هرمه ودفنه في بلد أمه في بلاد النوبة.

التمثال: إذن يا صديقي سأكون معك بروحي لأرشدك فيما أعلم إن كان هذا الكمتي يريد أن يحافظ على جده.

الصوت: سيحافظ على قبر جده رغمًا عنه.

التمثال: أعلم ذلك.

الصوت: أراك قريبًا يا صديقي بعد أن أنهي مهمتي.

التمثال: إلى اللقاء يا صديقي الحكيم.

استند/ حامد على إيفيت ودارت رأسه، فبسرعة أحضر بيرج كرسيًّا ووضعه ليسقط عليه حامد.

إيفيت: بروفيسور بروفيسور.

حامد: أين أنا؟

إيفيت: أنت في المستشفى التي بجوار المتحف.

حامد: ماذا حدث؟

إيفيت: سأحكي لك ولكن قل لي كيف حالك الآن، أأنت بخير؟

حامد: نعم ولكن رأسي به صداع غريب.

إيفيت: د/ بيرج سيحضر سيارة لتأخذنا إلى المطار ثم إلى البيت.

❋ ❋ ❋

الحكيم إيبي يستأذن في الدخول على ملكنا المعظم.

أمنمحات: فلتأذن له يا سنوهيت.

إيبي: كيف حال ملكنا المعظم اليوم؟

أمنمحات: مشغول الرأس يا صديقي.

إيبي: أأنت مشغول على سنوسرت وحال الجيش؟

أمنمحات: أمور عدة بينها رجوع سنوسرت أمنا في بلاد ليبيا، فلا أخفيك سرًّا يا صديقي، أحس بأمر سوء يحدث، فزوجات الملك غير راضين عن سنوسرت، أشعر بذلك في عيونهن.

إيبي: ملكنا العظيم منذ متى وأنت تحس هذا الإحساس المقلق؟

أمنمحات: منذ أن نصبت سنوسرت يا صديقي والأمر في عيون الزوجات مريب.

إيبي: لا تقلق ملكنا المعظم فربما الأمر غير ذلك.

أمنمحات: ربما صديقي، هو إحساس وأنا لا أخفي عليك شيئًا حتى إحساسي.

دخل أمنمحات خلوته وهو ما زالت تراوده نفس الأفكار وهو يقول لنفسه ما بال النساء بالسياسة؟ ونادى على خادمه سنوهيت بصوت عالٍ..

سنوهيت: أمر ملكنا العظيم.

أمنمحات: أحضر لي محبرة وأدوات الكتابة وأحضر لي بعض لفائف البردي.

سنوهيت: أمر الملك.

أمنمحات: إذن حان للملك أن يكتب وصاياه، فإحساس قرب الأجل يملأ وجداني، وأخذ الملك أدوات الكتابة ولفائف البردي من سنوهيت الخادم وبدأ يكتب: هذا من عظيم كيميت أمنمحات الأول إلى الملك الذي يخلفه سنوسرت الأول.

صعد/ حامد وبيرج وإيفيت إلى الطائرة، وما زال حامد في حالة إعياء شديدة.

إيفيت: بروفيسور، أأنت الآن بخير؟

حامد: نعم، أحمد الله ولكن أحس بالصداع منذ أن خرجت من المشفى.

بيرج: بروفيسور، ستكون بخير، فقد أكد لي الأطباء أن الصداع كانت نتيجة حالة الإغماء التي حدثت في المتحف.

حامد: ماذا حدث؟ وماذا قلت؟ لقد سمعت أصواتًا هذه المرة، ولكن كنت أقول ما أسمعه، ذلك ما أتذكره.

إيفيت: سأحكي لك ما قُلته وما سنفعله أيضًا.

حكت إيفيت ما دار من الصوت والتمثال في المتحف، وكلهم في ذهول، وكان حامد في هذه المرة مندهشًا جدًّا من أمر حدث منه ولم يعِ منه شيئًا.

وصل حامد إلى البيت بعد يوم مجهد وحكى لأليسار ما كان في المتحف، ووعدته ألا تتركه، وكان هناك عشاء في اليوم التالي بينه وبين إيفيت وبيرج، وأصرت أليسار أنها لن تتركه وحده مرة أخرى.

❋ ❋ ❋

كتب أمنمحات ما يدور من غدر وتقلب بين زوجاته وهو يقول لنفسه: "لقد أتى عليك الزمان والكبر لم تعد ذات قيمة حتى لزوجاتك غير توريث الحكم، فكل واحدة منهم تريد ابنها الأمير هو الأحق بالملك من أخيه، ويديرون المكائد ويصنعون أشياءً من خلف ظهري لا يفعلها إلا من كان عدوًا لي.

* * *

كان سنوهيت يجلس ليلًا قريبًا من غرفة الملك حتى إذا نادى عليه الملك يجده بجواره في أقرب وقت، فأحس بحركة غريبة في ممرات القصر، فنظر متخفيًا خلف عمود عملاق من أعمدة قصر الملك فإذا بجنود ولكن لا يرتدون ملابس مثل ملابس حراس القصر، يرتدون ملابس غريبة وكأنهم فرقة خاصة أو مرتزقة، فملابس هذه الجنود ليست حتى كملابس جنود الجيش فأحس برهبة، وقف الجنود وهو يراقبهم وانتصفوا فرقتين، واحدة إلى الممر الذي يسكن فيه الحكيم إيبي، وفرقة إلى غرفة الملك الكبيرة، فأحس بانقباض ووضع يده على أنفاسه حتى لا يشعرون بوجوده.

❋ ❋ ❋

في مطعم لا يبعد كثيرًا عن منزل حامد، جلس الأربعة (حامد – أليسار – إيفيت – بيرج) يتناولون عشاءهم.

إيفيت: أظن أن أليسار تعلم كل شيء الآن بروفيسور.

حامد: نعم، لقد أخبرتها، لذلك أصرت على العشاء معنا.

بيرج: وماذا سنفعل الآن؟

إيفيت: أظن علاج البروفيسور لن يتم إلا إذا أنقذنا جسد جده.

أليسار: كيف؟

حامد: الدكتورة تقصد أن الخطوة المقبلة ستكون في جزيرة إلفنتين، في بلاد النوبة في مصر، أليس كذلك دكتورة.

إيفيت: هذا ما أقصد بروفيسور.

بيرج: أليس هناك حل إلا السفر؟

إيفيت: أظن أنه حل قاطع لكل ما يراه البروفيسور.

اتفق الأربعة على السفر إلى أسوان لكي ينتهي حامد من الأصوات والأحلام ويبدأ في عيش حياة طبيعية.

امتزجت مشاعر حامد في الطائرة، فهو لم يرَ أسوان منذ أن مات الأحبة، ما بين فرحة لرؤية الوطن والحنين الدائم إليه، وما بين خوفه مما هو قادم إليه، فكل هذه السنين كفيلة بتغيير الأحوال.

هبطت الطائرة والمذيع الداخلي يشير ويتحدث: مرحبًا بكم في أسوان، مرحبًا بكم في مصر، نزل الأربعة وأخذوا سيارة أجرة من المطار إلى منزل جد/ حامد.

دخل الأربعة إلى المنزل وكان التراب يعلوه، علم جيران حامد بقدومه فأتوا مرحبين بكل ودٍّ وعيونهم ترحب به بكل حب.

الحاج عبد الموجود خال البروفيسور حامد احتضنه بشدة وكان بيته يبعد عن بيت حامد ببيتين أو أكثر، ودعاهم إلى منزله حتى يبعث باثنين من أحفاده لينظفوا لحامد المنزل، رحب حامد وأمر من معه بالذهاب إلى بيت الحاج عبد الموجود، كان كريم الضيافة وطيب المقام.

الحاج عبد الموجود: مرت فترة كبيرة يا دكتور حامد بعدما رأيتك آخر مرة.

حامد: التدريس والمشفى يا خالي يأخذون كل وقتي، ولكني سررت حينما رأيتك، فأنت تذكرني بالأحباب.

عبد الموجود: عندما رأيتك، تذكرتهم، فلهم منا الرحمة، رحمهم الله.

حامد: رحمهم الله يا خال.

عبد الموجود: كم ستمكث معنا ونستأنس بك؟

حامد: أسبوع ربما، أو عشرة أيام.

عبد الموجود: بكل خير يا دكتور.. من منهم زوجتك؟

حامد: التي تلبس طرحة.

عبد الموجود: مسلمة؟؟

حامد: نعم.. مسلمة تركية.

عبد الموجود: ما شاء الله.

دخل الأولاد الذين بعثهم عبد الموجود لينظفو بيت حامد في إشارة إلى جدهم عبد الموجود أن كل شيء قد تم.

عبد الموجود: إذن يا دكتور البيت أصبح نظيفًا وإن احتجت أي شيء فابعث لي، أنا هنا، فلا داعي للإحراج.

شكر حامد خاله عبد الموجود وهمَّ هو وأصدقاؤه بالخروج إلى منزله، رتبت أليسار الغرف ووزعت الغرف على إيفيت وبيرج واختارت غرفة لها هي وحامد.

اطمأن حامد عليهم إن كانوا يحتاجون شيئًا قبل أن يغلق عليهم الغرف ويتمنى لهم نومًا هادئًا.

دخل حامد غرفته ليطمئن على أليسار فوجدها من إرهاق السفر والتعب قد نامت، جلس على السرير وأخذ كتابًا يقرأه ولكن ذهنه ليس خاليًا وكل تفكيره كيف ستسير الأمور، أغلق الكتاب واتكأ على جنبه الأيمن كما يحب أن ينام وأغلق عينيه لتبدأ آخر رحلة من رحلات السفر عبر الماضي.

أخذ العجوز بيد حامد وهو بملابس نومه وكأنه اختلع روحه ليذهب بها في رحلة، وكانت هذه المرة الأولى في خلال الـ 50 عامًا من مجاورة العجوز لحامد أن يمسك بيديه، وحامد يسير معه ولا ينطق بأي كلمة، كان في انتظارهم مركب يقف في شموخ على ضفاف النيل، صعد العجوز وحامد إلى المركب وهنا تكلم العجوز.

العجوز: لقد أرهقتك يا ولدي!

حامد مندهشًا من طريقة كلامه الودودة: لا عليك.

العجوز: اليوم سأريك "كيميت" التي لما ترها من قبل، وبعد أن أريك عظمتها ستتمنى أنك لو عشت في هذا الزمن من قبل.

تحرك المركب في مدينة يعلوها سور شاهق به بوابات كبيرة، على كل بوابة يقف حراس ضخام الأجساد، عبر العجوز وحامد البوابات ودخلوا إلى أحد الأسواق، رأى حامد كل شيء يباع في هذا السوق، رأى كيف كان يقايض المصري القديم أشياءه وحبوبه بالأشياء الثمينة، رأى الناس في زهو، نعم الناس يرتدون ملابس بيضاء ناصعة وكأن كل من رآه في السوق يلبس ملابس جديدة.

أخذا هما الاثنان في التجول حتى وصلا إلى قصر مهيب، وقف حامد أمام هذا البناء ودب في قلبه هيبة شديدة، أخذ العجوز بيد حامد واليد اليسرى ممسكة بعصاه المخيفة وأشار بها إلى الباب فانفتح، مشى العجوز وحامد في ممرات القصر حتى وصلا إلى قاعة الملك وهناك وجد حامد رجلًا مهيبًا يجلس على كرسيه ويلبس التاجين الأحمر والأبيض وبجواره حكيمه وصديقه، وهنا تكلم العجوز أتدري من هذا؟ فرد حامد: من؟؟، فرد عليه العجوز قائلًا: هذا جدك عظيم مصر أمنمحات، وهذا حكيم كيميت وحكيم الملك "إيبي" ينظر في شكوى الناس، فلنستمع إلى عدل وعظمة هذا الرجل..

الملك: أدخلوا عليَّ صاحب الشكوى.

رجل من العامة: أنا صاحب الشكوى يا ملكنا العظيم.

الملك: أعرض شكواك أيها الرجل.

الرجل: يا ملكنا العظيم إن والي مقاطعة "آرمنت في الجنوب" يأخذ من الطريق ويزيد به أرضه حتى إذا مرت مواشينا من الطريق الضيق ونزلت في أرضه يفتري علينا ويصادر مواشينا، وإن اشتكينا سلبنا ما نملك من أراضٍ ليزيد بها أرضه.

الملك: أين أمير أرمنت ليرد على هذا؟

أمير أرمنت: كذب وافتراء يا ملكنا العظيم.

الملك: أين المساح الذي أمرنا أن يمسح أرض الأمير ويمدد سعة الطريق.

المساح: أمر ملكنا العظيم.

الملك: ماذا تقول؟

المساح: لقد مسحنا الأرض كما أمرت ووجدنا صحة كلام الرجل وإن الأمير يجير على أرض الطريق ويضيف إلى أرضه.

الملك: أمرنا نحن ملك كيميت المعظم "أمنمحات الأول" بنصرة الرجل على الأمير، وأمرنا بتعويض للرجل، وأن يعزل الأمير، ويأخذ الرجل أرضه.

في ذهول يراقب حامد الموقف ويقول لنفسه أهناك عدل مثل هذا؟ وهنا يتكلم العجوز ويقول أرأيت؟ هذا ما أحاول أن أحافظ على جسده، فكيميت لا تلد كل يوم ملكًا عادلًا عظيمًا مثله.

استيقظت أليسار وأيقظت حامد من رحلته المليئة بالعجائب وهمَّت بالقيام لتحضر لضيوفهم إفطارًا.

إيفيت وبيرج: صباح الخير بروفيسور.. أأنت بخير؟؟

حامد: نعم الحمد لله.

إيفيت: هل أنت بخير لنبدأ مهمتنا؟

حامد: نعم.

إيفيت: إذن لنرى الغرفة التي دخلتها في صغرك أولًا.

حامد: إذن فلندخل.

ترك حامد أليسار وبيرج وذهبوا للدور الأسفل وإيفيت معه، ودخلا الغرفة، وكأن حامد ما زال صغيرًا، حينما دخل أحس بانقباض وخوف.

إيفيت: هل هذه الغرفة؟

حامد: نعم.

إيفيت: وهل هذه الغرفة هي التي وضعوا فيها الملك؟

حامد: نعم.

إيفيت: لا أرى فيها أي تنقيب أو حفر.

حامد: إذن ماذا نفعل؟؟

إيفيت: أظن أن من يريد أن يسرق مقتنيات جدك يريد أن يسرقها من بيت آخر.

حامد: كيف؟

إيفيت: أن يصنع نفقًا ويسرقها من الخلف، ولكن أظن أنه يعمل ذلك من منزل يجاورك.

حامد: وكيف تأكدت من ذلك؟

إيفيت: لأنك لم تأتِ إلى المنزل منذ زمن، فهو مطمئن لأنك لن تشعر بأي ضوضاء.

حامد: ماذا سنفعل؟

إيفيت: سنرصد كل البيوت التي تجاورك وستتكلم أنت مع جيرانك إن أحسست منهم بريبة فسوف نراقبهم.

حامد: ثم ماذا؟

إيفيت: ثم نمنعهم من التنقيب، وإن توجب الأمر فسوف نبلغ عنهم الشرطة، فالشرطة المصرية تجرم التنقيب عن الآثار، هذا ما أعلمه.

حامد: دكتورة إيفيت هل بعد ما نفعله ستذهب هذه الهلاوس والرؤى؟

إيفيت: نعم بكل تأكيد، أنت لا تعلم بروفيسور مكانة هذه الجزيرة بالنسبة للمصري القديم، بها معبد من أقدم المعابد في التاريخ معبد الإلهة "ساتت".

إلهة الفيضان عند القدماء المصريين، وهي أم الثالوث المقدس عند شعب إلفنتين (خنوم – ساتت – عنقت) ولقد بنى سنوسرت الأول المعبد القديم ثم بنى معبدًا جديدًا من من الحجر الجيري، وبنى فناء احتفالات ليحتفل أهل المدينة بقدوم الفيضان.

حامد: هل سنوستر هو ابن؟

إيفيت: هو ابن جدك الذي أتينا لحمايته "أمنمحات".

حامد: الأمور تترابط الآن، فاختيارهم لهذا الموقع له مغزاه.

إيفيت: نعم أظن ذلك.

* * *

بدأ حامد بزيارة جيرانه الطبيعية، فشعب أسوان شعب ودود ومترابط، بدأ حامد بزيارة جيرانه ولقي ترحابًا شديدًا وسعادة غامرة من جيرانه نظرًا لرؤية ابن لهم في أعلى المراتب، وبدأت الولائم والعزائم لابنهم البار، وبدأ من وشوش جيرانه يستنبط بعض الأشياء، فمنازل أقربائه هي التي تحيط به.

وبدأ الصوت يرجع إلى أذنه حينما رأى ابن عمٍّ له يدعى "إسماعيل" ومعه شخص أول مرة يراه، شخص يلبس ملابس النوبة الذين هجِّروا من عند السد العالي، ولفت نظر حامد أن هذا الشخص يلبس خواتم في أغلب أصابع يديه وينظر إلى حامد بريبة والصوت في أذن حامد يقول له "هذا رأس الأفعى"، وسأل حامد "إسماعيل" وقال له يا إسماعيل من أي منطقة هذا الرجل؟ يبدو أنه ليس من بلدتنا، فرد إسماعيل: نعم إنه ضيف يمكث لدينا منذ أسبوعين.

حكى حامد لإيفيت ما حدث من الصوت والرجل المريب الذي رآه ونظرة هذا الرجل له، ورد إسماعيل عندما سأله عنه.

إيفيت: إذن وأين بيت إسماعيل هذا؟

حامد: يبعد بيتي ببيتين.

إيفيت: سنبدأ به.

حامد: لم نتأكد بعد، فيمكن أن يكون ضيفه.

إيفيت: بروفيسور.. أنا عملت في مصر زيادة عن ثلاثين عامًا وأعلم كيف يستخرج المصريون كنوز القدماء، إنهم يأتون بأناس

يسمونهم روحانيين ليدلوهم عن مكان الدفن والوصف الذي وصفته لهذا الرجل، هو وصف الروماني الذي رأيته مسبقًا في رحلات لمصر.

حامد: إذن اتركي لي الأمر.

ذهب حامد إلى بيت إسماعيل دون سابق إنذار وطرق الباب.

إسماعيل: تفضل يا ابن العم، أهناك شيء تحتاجه في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

حامد: لا ولكن وجدت نفسي يقتلني الملل فقلت لنفسي أذهب وأسهر مع إسماعيل.

إسماعيل: أهلًا وسهلًا بِك يا ابن العم أنرت داري.

حامد: النور لي والشرف لي.

بدت على إسماعيل علامات التوتر وأمر واحدًا من أبنائه أن يحضر الشاي لحامد، وهنا أحس حامد بالحركات المريبة، فقد سمع همسات وسمع خبطًا وفجأة دخل أحد أبناء إسماعيل إلى الغرفة التي فيها حامد وملابسه متسخة وبها آثار تراب كثير، فانفعل إسماعيل عليه مطالبًا ابنه بالخروج.

وهنا تكلم حامد: ماذا تفعل في بيتك يا إسماعيل؟

إسماعيل: ماذا أفعل!. لا شيء.

حامد: ابنك متسخ ويعلو وجهه التراب وأسمع خبطًا وهمهمات، إضافة إلى الرجل النوبي، ماذا يفعل؟

إسماعيل منفعلًا: قلت لك لا أفعل شيئًا.

حامد: هل تأذن لي أن أنظر في داخل دارك؟

إسماعيل: ماذا تقول! بالتأكيد لا.

حامد: إذن اتضح كل شيء، إن لم تنتهِ عما تفعل فسوف تندم.

إسماعيل: هذا بيتي يا حامد أصنع ما شئت فيه.

حامد: نعم إنه بيتك فالزمه ولا تأتي من أسفل إلى داري فسوف تندم إن فعلت.

ثم تركه حامد دون أن يشرب الشاي ودون أن يلقي حتى السلام.

❋ ❋ ❋

وقف سنوهيت في حيرة من أمره هل سيدافع عن الملك وحده بعد أن رأى كل هؤلاء الجنود، إنهم يتآمرون على تصفيته، وليس هو فقط ولكنهم ينوون على قتل حكيمه أيضًا "إيبي"، مكث كما هو، وهنا اتضحت له خيوط المؤامرة، فلقد رأى زوجات الملك وهم يشيرون إلى الجنود المرتزقة في فرقة الملك وفرقة "إيبي" وعلى حين غرة دخل الجنود غرفة الملك وكان بمفرده في حجرته ولكن لم يسعف أحدًا العجوز فلقد كانوا أربعة جنود، فقتلوه بعدة طعنات، وفي غرفة الحكيم إيبي كان هناك اثنان من العلماء لخدمته فأومأ إلى أحدهم في أذنه وقال: أسرع إلى الأمير سنوسرت فهو أتٍ الآن من الغزو واجعله يغير مسار طريقه فهم يقصدونه.

وبالفعل دافع عن نفسه لكي يشغلهم ويخرج الغلام حتى طعنوه عدة طعنات أودت بحياة حكيم كيميت، تمسمر سنوهيت في مكانه وكل ما يجول بخاطره الهروب، فانتهز فرصة الهرج والمرج في القصر وهرب.

اجتمع حريم الملك وزوجاته في القصر بعد أن أتموا مهمتهم بنجاح ولكن ما يقلقهم أن المهمة الأكبر في قتل ولي العهد الأمير سنوسرت، هل قتل أم لا؟

اجتمعوا والقلق يبدوا على وجوههم، أقتل الأمير أم لا؟ فقد اتفقوا مع رجال من جيشه على أن يخونوا ولي العهد ويقتلوه في رحلة رجوعه مع جيشه، فقد كان في حملة لإسكات القبائل الليبية المتمردة بأمر أبيه الملك الأعظم.

نجح غلام الحكيم إيبي في الوصول إلى ولي العهد الأمير سنوسرت ونبهه بما يدور من مكائد وأعلمه بما حدث في القصر، فأومأ سنوسرت لجنوده المقربين أنه سيغير طريقه بحيث يسير من طريق وجيشه يسير من آخر وبذلك نجا سنوسرت من المكيدة الكبرى التي كانت على كيميت ليس عليه فقط.

❋ ❋ ❋

في منزل الحاج عبد الموجود خال حامد اجتمع حامد بأبناء عمومته وشكا لهم مما يصنع إسماعيل ابن عمه، وشرح لهم الوضع، وتكلم عن الرجل النوبي الغريب الذي في وسطهم وقال:

أهذه الأمانة التي تركها الشيخ حمدان بين رقابكم؟ أن تفحروا نفقًا لسرقة ما تحت بيته، أهذا ما كان يعيش به بينكم؟ يترك لكم بيته لتعيثوا فيه فسادًا، وهنا تكلم خال حامد.

عبد الموجود: أأنت متأكد مما قلت يا دكتور؟ فربما ظننت فيه سوءًا.

حامد: أنت لم ترَ الريبة والخوف في عينيه، عندما استأذنته في دخول صالة بيته، لم ترَ يا خال صوته والخوف الذي تملكه عندما رأيت ابنه ملطخًا بالتراب والطين.

عبد الموجود: اذهبوا وأتوني بإسماعيل لنرى ماذا يصنع.

ودخل إسماعيل على أبناء عمومته وكان ينتظر وقوفه وسطهم من الأمس بعد أن دار الشجار بينه وبين حامد وارتفع الصوت بينهما.

عبد الموجود بعد أن حكى لإسماعيل ما قاله حامد.

إسماعيل: يا خال عبد الموجود، أرى أنه بيتي وأصنع فيه ما أشاء، وإن حدث شيء لبيت عمي حمدان أبو الدكتور حامد فسوف أتكفل بأي شيء، فأنا أصنع بعض الأشياء في منزلي وأجدد فيه حيطان المنزل من الداخل، فلمَ هذه الجلبة التي يصنعها الدكتور حامد؟

حامد: يا إسماعيل، أليس هذا النوبي المريب الذي يرتدي خواتم في صوابع يده كلها، أليس هذا ممن تطلقون عليهم هنا روحاني، أو شيخ روحاني.

وهنا صاح إسماعيل قائلًا: "انظروا إلى الدكتور وما يقول، وما أدراك أنت بالروحانيين، ومن قال لك هذا الكلام؟"

وهنا تكلم عبد المجيد: حقًّا يا دكتور، وما أدراك أنت بهذا وأنت عمرك كله في أوروبا.

حامد محتارًا متحدثًا لنفسه: هؤلاء القوم يحتاجون لدليلٍ أنه رجل مشعوذ ودجال.

فرد إسماعيل مستغلًا صمت حامد الطويل: انظروا، ها هو لا يدري ما يقول، ويدعي الافتراءات بدون أدلة.

حامد بعد صمت وكل أبناء عمومته ينظرون إليه وهو لا يدري ما يقول.

فصاح إسماعيل وهو يقول: أرأيتم؟ وإن وقف بينكم ليومين، فلن يجد ما يقول.

وهنا حدثت المفاجأة.. لقد تكلم الصوت، نعم الصوت تكلم في إشارة إلى حامد "لا تسكت لهذا الأفَّاق"، وبدأ الصوت في أذن حامد.

وبدأ حامد في الكلام: ألم تنقب عن مقابر فرعونية تحت بيتك؟ ولست أنت فقط؛ بل أنت وأبيك أيضًا، ألم تصنع نفقًا يسير لتحت بيتي، حتى تسرق ما تحت بيتي؟

وهنا صاح إسماعيل غاضبًا: "كذب وافتراء".

وقاطعه حامد: "إذن إن كنت كاذبًا، فأحضر لي فاطمة ابنتك الصغيرة لنسألها.

فصاح إسماعيل مرتبكًا: ماذا تقول؟! أتهذي!، وما دخل فاطمة الصغيرة فيما نحن فيه؟

حامد: إذن أحضرها لنسألها من منَّا يهذي.

إسماعيل: بالتأكيد لا.

قاطعه عبد الموجود بصوت صارم: يا إسماعيل، فضلًا وليس أمرًا، أحضر فاطمة الصغيرة لننتهي من هذه القصة.

وفي مجلس أبناء العمومة، دخلت بنتًا صغيرة لم تتعدَ الثامنة من عمرها، سمراء ولكن الوجه ضحوك، وارتمت في حضن أبيها ولا تعلم لمَ يريدها والدها في وسط هؤلاء الرجال.

تذكر حامد حينما كان في عمرها، كانت أول رؤية له هو والعجوز، وتذكر عندما رأى وجهها كيف كان في حيويتها عندما كان في عمرها.

حامد ممسكًا بفاطمة: لا تخافي، فأنا عمك حامد، ولمس ضفائرها مداعبًا وانتظر الصوت حتى يتكلم: فاطمة كم عمرك؟

فاطمة: بكل براءة، عدت له عمرها على أصابعها في إشارة إلى أنها تبلغ الثامنة.

أمسك حامد بيديها الصغيرة وقال ماذا يفعل معكِ الرجل الذي في منزلكم الذي يرتدي خواتم كثيرة في يده؟ فردت الصغيرة: لا يفعل معي شيئًا.

أراد إسماعيل التدخل فأسكته حامد بيديه، وقال موجهًا كلامه للصغيرة: "ألا يعطيكِ هذا الرجل مسبحته ويأمرك أن تغمضي عينيكِ؟"

فردت فاطمة: نعم.

فقال حامد: وماذا يقول لك؟

فقالت فاطمة: يقول لي صفي لي لي ما ترين، فأصف له درجًا، أنزل عليه وأقف أمام باب على يمينه وشماله صور لأشخاص ضخام ورؤوسهم ليست كرأس أبي وعمي، كأنها رأس حيوان.

وهنا قال حامد: والرجل العجوز؟

فاطمة: نعم، هناك رجل عجوز يجلس بمفرده عند الباب ممسكًا بعصاة وكلما اقتربت يبستم لي.

حامد: هل قال لكِ شيئًا؟

فاطمة: مرة واحدة، عندما أمرني الرجل صديق والدي أن أقترب أكثر منه، وحينما اقتربت قال لي قولي لهذا الرجل صديق والدك ألا يجعلك تنزلين إلى هنا ثانية، وإن أراد شيئًا، فلينزل بنفسه.

وهنا سكتت الصغيرة وقالت: كل مرة أمي تتعارك فيها مع أبي لأني بعد ما يفعله معي صديقه أحس بتعب شديد ولا أقدر على اللعب مع إخوتي.

فابتسم حامد وقال: أرأيتم؟ هل أنا أكذب الآن أم أهذي؟

فتجمد إسماعيل في مكانه والوجوه والعيون تنظر إليه بغرابة واحتقار لأنه يستخدم صغيرته البريئة في هذه الأشياء.

أتى صوت عبد الموجود: إذن يا إسماعيل، أنت وأبوك رحمه الله، كنتم تستغفلون أبناء عمومتكم منذ سنين.

لم يكن أمام إسماعيل إلا أن يفصح عما بداخله في حسرة وقال: نعم يا خال، أبي رحمه الله وسامحه، هو أول من مشى بي في هذه الأشياء وأقبل يقبل صغيرته وهو يجهش بالبكاء: "سامحيني يا صغيرتي، لقد استعملتك في الشر" ثم أخذ أنفاسه وبدأ في سرد حكاية والده قائلًا:

"كان والدي سامحه الله يبحث في الجزيرة وعند المعبد عن الآثار لكي يبيعها لزوار المعبد من الأجانب الزائرين، وبرغم أنه كان يجد كثيرًا

من الجعارين الفرعونية ويبيعها للأجانب الذين كانوا ينبهرون بها ويكسب منها المال الكثير إلا أن طمعه وجشعه جعله ينقب عن الآثار في منزلنا وبالتحديد في غرفتي ولكن كلما شرع في الأمر وأتى بالروحانيين إلى منزلنا كان يصطدم بهذا الرجل العجوز وعصاه فلا يقدر أيًّا من الروحانيين الذين يأتي بهم على اختراقه.

ولكن بعد أن مات دلني صديق لي يقطن خلف السد العالي لهذا الرجل، فقالوا إنه رجل قادر على أن يخرج أي كنز من كنوز الأرض، وعندما قابلته أخبرني أن هناك مقبرة من مقابر الملوك العظماء ولكن ليست عندنا ولكن تحت منزل الشيخ حمدان أبو الدكتور، وبدأنا في العمل، وكلما اقتربنا ظهر له العجوز وأرهقه، فأتى بفاطمة واستعملها، ومن يومها وهو يستعملها بحجة أن العجوز لا يأذي الأطفال، وبدأ في البكاء والندم.

عبد الموجود: ولكن أخبرني يا دكتور حامد كيف علمت كل هذا..؟

حامد: هل لو قلت لكم تصدقونني؟!

فأجاب أبناء عمومته والخال عبد الموجود: نعم يا ابن العم، نصدقك.

حامد: إذن، أترون هذا العجوز الذي تراه فاطمة الصغيرة؟ إنه يجاورني ويطاردني في أحلامي منذ أن كنت في عمر فاطمة، وهو من أخبرني بكل هذا، بل هو من جعلني آتي إلى مصر بعد كل هذه السنين.

❋ ❋ ❋

أفلت سنوسرت من المكيدة واستطاع بمكر القائد أن يخلص نفسه من محاولة اغتياله إلى أن أتى القصر، دخل مسرعًا وأمر جنوده المخلصين أن يقبضوا على كل من في القصر من خدم وعبيد حتى زوجات الملك قبض عليهن وبحنكة القائد: استجوب كل من في القصر على حدة حتى يخرج ما في صدورهم، واستطاع فعلًا أن يقف على خيوط المؤامرة وكانت أوامره كالتالي:

أولًا: يُعدم كل الجنود الذين كانوا في خدمة الملك وحكيمه.

ثانيًا: يُعدم كل زوجات الملك اللواتي دبَّرن المكيدة.

ثالثًا: أوامر إلى الجيش بالبحث عن المرتزقة الذين غدروا بالملك وحكيمه.

دخل سنوسرت غرفة أبيه والحزن يملؤه، بقيَ ثابتًا أثناء تحنيط الملك وإعداد مقبرته وقتًا طويلًا، ولكن لم يتمالك نفسه عندما رأى ملابس والده وأحس برائحة والده في غرفته وأجهش بالبكاء حزنًا وشوقًا لوالده وأستاذه ومعلمه، بكى بحرقة ولسان حاله يقول: لمن ستتركني؟

وأثناء خلوته في غرفة أبيه وجد بعض لفائف البردي وأدوات كتب فأمسك بهم وفتحهم وقرأ:

هذا من عظيم كيميت وأمنمحات الأول إلى سنوسرت ولي عهدي وابني هذا الكتاب:

"أنت يا من ظهرت إلهًا، أصبحت ملكًا، أصغِ لما سألقيه عليك حتى تصير ملكًا على البلاد، وحاكمًا على شواطئ النهر، وحتى يمكنك أن تفعل الخير أكثر مما ينتظر، خذ الحذر من مرؤوسيك لأن الناس يصغون لمن يرهبهم، ولا تقترب منهم على انفراد، ولا تثقن في أخ، ولا تعرفن لنفسك صديقًا، ولا تصطفي خلانًا، لأن ذلك لا فائدة منه، وعندما تكون نائمًا كن الحارس لشخصك حرصًا على قلبك، لأن الرجل لا صديق له في يوم الشدة، فإني قد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم وجعلت من لا ثروة له مثل صاحب الثراء، وقد أكلوا خبزي وهم الذين يدبرون أمرًا خلف ظهري وأمروا بخيانتي، فهذا ما أكتب وهذا ما سيتم، ونصيحتي لكم يا نسلي من الأحياء، يا من سيخلفنوني من

الناس، اعملوا على أن تكون أحزاني كأنها أشياء لم يسمع بها، وكذلك اجعلوا ما قمت به من عظيم الأعمال الحربية لا يرى، لأن الإنسان يحارب في ساحة الوغى، وقد نسي ما جرى بالأمس، ومع ذلك إن الإنسان الذي يتناسى العلم لا تتم له سعادة.

وأخذ أمنمحات يوم مهاجمته من الأشرار وإحساسه بهم وبدأ يدون وكأن هناك «نبوءة» تجول في خاطره بشأن ما سيحدث عند قتله: "لقد كان ذلك بعد العشاء، حينما دخل الليل وكنت قد أخذت ساعة الراحة واضجعت على سريري وكنت متعبًا وأخذ قلبي يجدُّ وراء النوم ثم شعرت كأن أسلحة تلوح، وكأن إنسانًا يسأل عني فانقلبت وكأني ثعبان الصحراء أي قمت منتصبًا، ولو كنت أُسعفت بسيفي لكنت قد شتتُّ شمل المخنثين شذر مذر، ولكن لا شجاع في الليل، ولا يمكن أن يحارب الإنسان وحيدًا، لا نصر بدون معين.

تأمل، سيراق الدم وأنت بعيد عني، وقد سلمت لك الملك قبل أن يسمع بذلك رجال البلاط، ولكن دعني أفعل ما تريد وذلك لأني لم

أحتط بنفسي ضد هذه المؤامرة، فإني لم أفطن لها من قبل، هذا فضلًا عن أن قلبي لم ينتبه إلى تراخي الجنود والخدم، إنهم النساء يا ولدي فانتبه، هل حدث أن النساء اصطففن في ميدان المعركة؟ هل من لا يرعى حرمة القانون، قد شبَّ في القصر؟ أو هل الماء الذي كسر السد قد انطلق وعلى ذلك خاب الفلاحون في عملهم؟

لقد اقتحمت طريقًا إلى إلفنتين المقدسة "أسوان" ونفذت حتى منافع الدلتا ووقفت عند نهاية حدود الأرض وشاهدت وسطها ووصلت إلى معاقل الحدود بقوة ساعدي وباهر أعمالي العظيمة، لقد كنت مؤسسًا للمحاصيل الزراعية محبوبًا من الإله (نبر) رب الغلال، وقد حياني النيل في كل رقعة من الأراضي المكشوفة، ولم يجع إنسان في سنوات حكمي، وسوف يجلس الناس في سلام ويحكون عني، وكل ما أمرت به كان حقًّا وقد أذللت الأسود واصطدت التماسيح وقهرت أهل واوات وأسرت قوم المازوي وجعلت الآسيويين يمشون كالكلاب، وأقمت قصرًا بالذهب وسقفه باللازورد، وأبوابه من النحاس وأقفاله

من البرونز، ولقد صنعتها لزمن لا نهاية له، والأبدية تخشاها لأنها لا يمكنها أن تقضي عليها"

بكى سنوسرت على أبيه وملكه كثيرًا وهو يقرأ وصاياه وأقسم على نفسه ألا يهدأ له بال حتى يقتل ويعذب كل من اشترك في هذه المؤامرة الدنيئة.

❋ ❋ ❋

وفي أسوان جلس الثلاثة يستمعون إلى حامد، وما حدث من الصوت، وما حدث من إسماعيل وهم فرحون.

قاطعت إيفيت فرحتهم بقوله إلى بيرج: ولكن بيرج من هو هذا العجوز؟ هل هو "نفروهود" حكيم ومرتل الأناشيد العظيم وقت الملك سنفرو أم هو "جدي" ساحر الملك خوفو ابن الملك "سنفرو"؟

بيرج: أظن وأفترض كما افترض بعض علماء المصريات القلائل أن جدي هو نفروهود، شخصية واحدة.

إيفيت: افتراض ضعيف، ولكن في قصة "بروفيسور" حامد أظنه قويًّا، ووجهت كلامها إلى حامد: بروفيسور وعلام اتفقتم مع أبناء عمومتك؟

حامد: اتفقنا على أن يحموا المنزل وما تحته وأخذوا المواثيق على إسماعيل أنه سيردم الحفرة التي صنعها في منزله وسيراقب كل هذه المواثيق خالي الحاج عبد الموجود.

ونظر إلى إيفيت وقال: إذن دكتورة هل سيقابلني العجوز الآن؟

إيفيت: لقد أدينا الأمانة وأنقذنا "صاحب النبوءة"، إذن أظن أنه سيتركك في حالك.

❋ ❋ ❋

استقر سنوسرت في حكم كيميت وعمل بعمل أبيه من العدل والمحاكمة، وقد كان أول عمل بعد توليه العرش أن أقام حفلًا لتتويج نفسه وقد كان الغرض منها الدعاية لنفسه وأنه هو الوارث الشرعي للعرش الحقيقي، وقد أقام عرضًا مسرحيًّا ضخمًا ليعرف الشعب أحقيته بالملك وتحتوي هذه الدراما على ستة وأربعين منظرًا.

المنظر الأول والثاني: أن الملك قد مات وهو يشير إلى أبيه، وعندئذ يأمر ابنه ووارثه على العرش بإحضار سفينة الملكية بعد إعدادها.

قد نشاهد هذه المناظر الآتية، تقديم تضحية للملك المتوفى، وهو ثور يذبح ثم يقطع قطعًا ليقدم وجبة وقربانًا، وهكذا دارت المسرحية الدرامية على عيون الناس، أنه هو الوارث وأنه سيستلم الإذن بالملك من آمون المعظم.

وذات يوم وكيميت في مجدها وعزها من المعظم سنوسرت، وفي يد الملك المعظم المراسلات، وجد مراسلة من بلاد آسيا باسم سنوهيت وقال لنفسه بعد كل هذه السنين سنوهيت خادم والدي يطلب منا السماح؟ لقد تحرينا في أمره ونعرف أنه هرب خوفًا، ولم يكن في هذه المؤامرة، فاكتب إليه أيها الكاتب وليأتِ واكتب:

(انظر إن قرار الملك آت إليك ليعلمك بما آت: لقد اخترقت الأراضي الأجنبية وخرجت من "كرمى" إلى فلسطين وقد أسلمتك الأرض إلى أرض وذلك بمشورة قلبك أنت، ولم يكن في قلبي شيئًا ضدك (في هذه المؤامرة) فلتأتِ وتعِش في سماء القصر، ولينعم أطفالك في البلاد بجواري، ولتعِش طويلًا على الأشياء الطيبة التي سأخضعها لك.

ورد سنوهيت على عطف الملك وأرسل إليه يقول:

(يا ملكنا المعظم، إن هربي كان بدون تعمد، أنت أيها الإله الطيب، يا رب الأرضين، المحبوب من رع، المثنى عليه من "سنتو" رب طيبة وآمون، رب الكرنك وأسبك، ورع وحور وحتحور وأثوم وتاسوع الآلهة، وخادمك لم يدرِ ماذا يفعل فهرب، فالشكر لك إن جعلت قدمي تطأ كيميت مرة ثانية وأدفن فيها).

مضى شهر على وصول حامد لبرلين، استقرت الأمور وذهب عند العجوز، وبعد كل هذه السنين غاب العجوز عن أحلامه وبدأ النوم في الاستقرار فهو لا يخشى من منامه لأول مرة بعد خمسين عامًا، توطدت العلاقة بين الأربعة وأصبحوا أصدقاء (إيفيت – بيرج – حامد – أليسار)، بدؤوا في السهر وكثرت مقابلتهم.

انتهى العام الدراسي بكل متاعبه وأخذ حامد وزوجته إجازتهما السنوية، وفي تفكير للعجوزين في إجازتهما قاطعت أليسار حبل أفكار حامد وقالت: ما رأيك أن نذهب إلى هيلدسهايد لنرى التمثال؟ فلقد شوقتني لرؤية التاريخ المصري القديم وعجائبه.

حامد: كما تحبين.

أليسار: ألا تحب الأمر أم إنه سيذكرك بما حدث الأيام الماضية؟؟

حامد: لا بالعكس، كما تحبين فالأمر لدي عادي.

انبهرت أليسار منذ دخولها المتحف، ولكن انبهارها الشديد عندما دخلت قسم المصري القديم، حيث وقفت أمام شموخ وعظمة المصري

القديم بهيبة شديدة تشاهد ما وصل له هذا المصري من تقدم ورقي في حياته وفنه، ثم التفتت أين حامد لم تجده بجوارها!، دارت حول قاعة من التمثايل لتجده واقفًا أمام تمثال معين شارد الذهن لا يتحرك فأتت من ورائه

أليسار: حامد، حامد.. أين كنت؟

حامد: هاه (بشرود).

أليسار: ما كل هذا الشرود أمام هذا التمثال؟ أهو الذي تكلم معه العجوز؟

حامد: نعم هو.

أليسار: هل أنت بخير؟ هل حدث شيء؟

حامد: لا لم يحدث ولكن جسدي مثقل وأطرافي بها تنميل.

أليسار: إذن فلنسترح.

حامد: لا سنخرج من هنا، هل انتهيتِ؟

أليسار: نعم انتهيت فقد شاهدت كل شيء.

حامد: إذن فلنذهب، وأمسك يد أليسار وهمَّ بالخروج، وفي طريقهما للخروج حدث شيء عجيب لم يتوقعه..

لقد أتى إليه الصوت وتكلم، نعم، رجع العجوز لحامد وقال: "جئت لأشكرك، لقد أنقذت جدك.. ولكنني لم أنتهِ منك!"

❋ ❋ ❋

المراجع

- الأدب المصري القديم:سليم حسن.
- موسوعة مصر القديمة:سليم حسن.
- تاريخ مصر القديمة:نيقولا جريمال.

❄ ❄ ❄